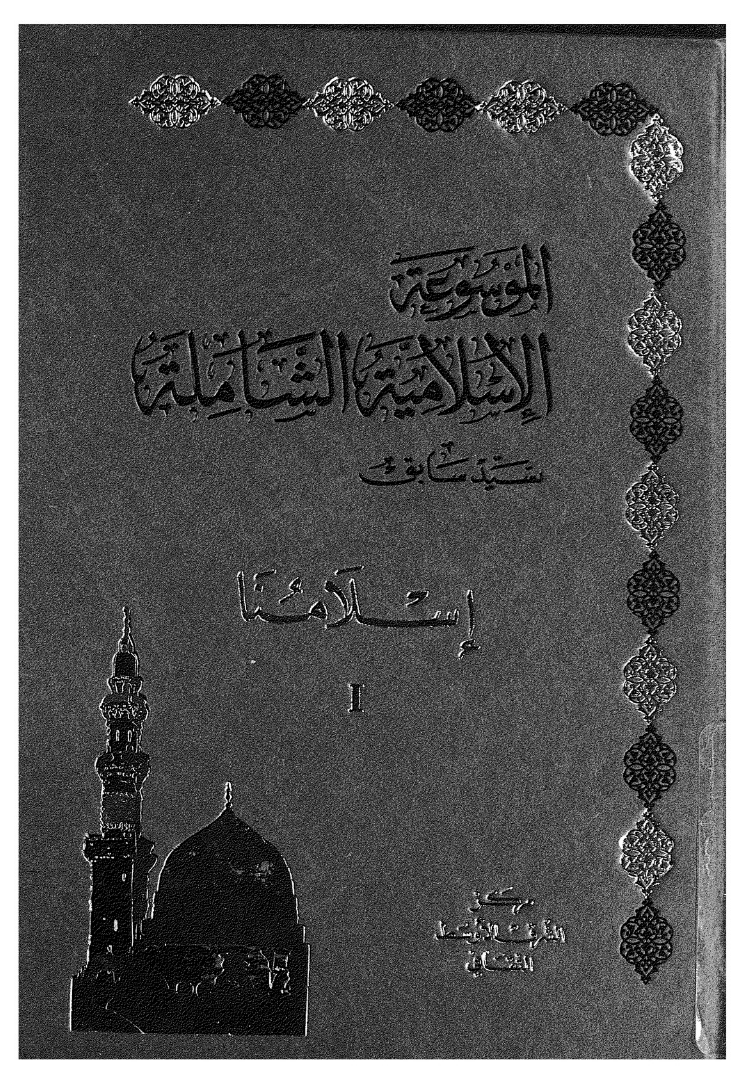

الموسوعة الإسلامية الشاملة
سيد سابق
إسلامنا
I
مركز الشرق الأوسط الثقافي


الموسوعة
الإسلامية الشاملة



إسلامنا

I

السيد سابق

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

مركز الشرق الأوسط الثقافي *Middle East Cultural Center*

للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع *For Printing, Publishing, Translating & Distributing*

الإدارة العامة: **General Management:**

بيروت ـ الحدث، هاتف: ٨٨٨ ـ ٤٦١٧٧٧ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ فاكس: ٤٦١٩٩٩ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ خليوي: ٦٤٠٤٩٠ ـ ٣ ـ ٩٦١

مصر ـ الدقي، هاتف: ٠٠٢٠٢٣٣٦٥١٥٢ ـ خليوي: ٨٨ ـ ٧٧ ـ ٦٦ ـ ٠٠٢٠١٨٢٥١١١٥٥

سوريا ـ دمشق، هاتف: ٠٣٠ ـ ٠٢٠ ـ ٠٠٩٦٣١١٤٦٤٤٠١٠ ـ خليوي: ٩٦٣٩٤٩٩٧٧٦٤

Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461777 - 888 - Fax: 961-5-461999, Mobile: 961-3-640490

Cairo - Dokki, 002023365152 - Mobile: 0020182511155-66-77-88

Syria - Damascus, 00963114644010 - 020 - 030 - Mobile: 96394997764

Web site: www.lccpublishers.tk **E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* اللهمَّ ربَّنَا ورَبُّ كلِّ شَيء...

أنَا شهيد أنكَ الربُّ وَحَدك لا شَريكَ لَك

* اللهمَّ ربَّنَا ورَبُّ كلِّ شَيء...

أنَا شهيد أنَّ محَمّداً عَبدكَ وَرَسُولك.

* اللهمَّ ربَّنَا ورَبُّ كلِّ شَيء...

أنَا شهيد أن العبَاد كلّهم إخوة...

* اللهمَّ ربَّنَا ورَبُّ كلِّ شَيء...

اجعَلني مخلصاً لَكَ وأهلي...

في كلّ سَاعةٍ مِنَ الدُّنيَا والآخِرَة.

يا ذا الجَلالَ والإكرام...

اسمَع وَاستَجِب...

* الله الأكـــــبر الأكـــــبر نـــور الـــسَّـــمـــواتِ وَالأرض

* الله الأكـــــبر الأكـــــبر حَـــسبِيَ الله ونـــعـــمَ الـــوَكِـــيـــل

الله الأكـــــبر الأكـــــبر

محَمّد رَسُول الله

تمهيد

١ ـ هل الدين ظاهرة اجتماعية؟

من الظواهر التي تشاهد في المجتمعات البشرية، على اختلاف درجاتها في سلم التطور، ظاهرة التدين:

فالمجتمع البدوي الذي لم يعرف شيئاً عن الحضارة، له معتقداته وعباداته، والمجتمع الحضري الذي بلغ شأواً في العلم والمدنية، له كذلك إيمانه بالغيب وطقوسه الخاصة.

ولظهور هذه الظاهرة وبروزها، رأى العلماء أنه كلما وجد مجتمع وجد معه دين، أيًا كان هذا الدين وأيًا كان مصدره.

٢ ـ شذوذ المجتمع الملحد:

ولا يعترض على هذا بأن المجتمع الشيوعي، قد أسقط الدين من حسابه وأقام حياته على أساس: أن لا إله، والحياة مادة.

فإن هذا لا يعبر في الواقع عن نفسية المجتمع، ولا يترجم مشاعره ترجمة صحيحة.

إذ إن فكرة هذا الانحراف الديني، نبتت في ذهن بعض الأفراد ونمتها الظروف الاجتماعية الخاصة. ظروف الفقر والحاجة والحرمان. وساعد على تقوية جذورها، وبسط سلطانها، أنه لم يكن ثمة دين، ينير العقل أو يطمئن القلب، فضلاً عن أن المتظاهرين بالتدين كانوا مظهراً للتخلف والرذيلة، بل كانوا مضرب المثل في التفاهة والحقارة، ولم يقضوا يوماً واحداً في جانب المحرومين، وإنما كانوا دائماً عوناً للقياصرة، وسنداً للمستبدين.

هذه الفكرة الإلحادية، ليست وليدة علم، ولا ممثلة للفطرة الإنسانية وإنما هي فكرة شاذة، أوحت بها الظروف القاسية، وخلقتها البيئة المجهدة، وروَّجت لها الأحقاد التي ملأت الصدور أمداً طويلاً. ثم حُمِل الشعب عليها حملاً، وأكره عليها إكراهاً، دون أن يكون له رأي أو اختيار.

ومنذ قيامها، وهي في حماية الحديد والنار.

وأعتقد أن الفطرة الإنسانية أقوى من جميع القوى التي تحاول أن تطمسها، وتغير معالمها، وأن لها الغلبة والنصر مهما طال الزمن.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

٣ ـ الدين باق خالد:

وإذا كان للدين هذه الجذور العميقة في النفس الإنسانية، فإنه لا يتصور أن يأتي يوم يعيش الناس فيه من غير دين، بل ستبقى النفس تنزع إليه، لأنها تنزع إلى شيء هو من طبيعتها، وتشعر بفراغٍ كبير إذا تخلت عنه.

وليست المشكلة هي مشكلة الدين، من حيث هو، فالتدين عزيزة كما قلنا، وكَما يقرر الإسلام.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وفي الحديث الصحيح:

«كُلُّ مَوْلودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ..».

٤ ـ مشكلة عدم وجود الدين التعليمي:

وإنما المشكلة الحقيقية، هي عدم وجود الدين التعليمي الذي يفتح آفاق الفكر، ويَطلق الطاقات الكامنة في النفس، ويَدفع إلى السمو الروحي، وَالكمال المادي.

لقد كان الإنسان فيما مضى ـ ولا يزال ذلك في الطبقات الجاهلة ـ يستسلم لما يلقى إليه من عقائد، ويَذعن لما يقال له من دين، ولاَ يكلف نفسه مشقة البحث، ولاَ مؤونة الدرس. ولَو كان الذي يلقى إليه من الخرافات، التي لا يصدقها العقل، ولاَ يعترف بها العلم.

ولَكن هذا الأمر قد تغير الآن في نظر الإنسان الذي يعيش في عصر العلم، إنه يريد من الدين أن يقْنعَ عقله، ويُرْضِي طُمُوحه، ويُسَايرَ تَقَدُّمَه وَيُجاري تطوره. ولاَ يحرمه من ثمرة جهده، ولاَ لذة بدنه.

وربما كان عدم وجود دين ينطوي على هذه المبادىء، هو أحد الأسباب التي صرفت بعض العلماء الذين أسهموا في بناء الحضارة عن الدين، وجَعلهم يتجهون إلى العقل وَحده، يستفتونه، وَيحتكمون إليه، ولا يعوّلُون في قضية إلا عليه.

ولم تتح الفرصة لهؤلاء أن يطلعوا على مبادىء الإسلام الكريمة، وتعاليمه السامية، وإن كان أتيح لبعضهم أن يعرف الإسلام ممثلاً في أعمال من ينتسبون إليه، وهي في وَاقعها تشويه لجمال الإسلام، وعَرض سيّىء لمبادئه الحقة فكان حكمهم عليه كحكمهم على غيره من الديانات الأخرى.

٥ ـ الإسلام هو الدين التعليمي:

إن الإنسان في هذا العصر ـ بالرغم من المغريات المادية التي صرفته عن الدين ـ تهفو نفسه إلى دين موثوق بأصله من جهة، وقادر على أن يَسْمُو به إلى الكمال المادي والروحي من جهة أخرى.

ونحن نجزم في إيمان وفي ثقة.

بأن الإسلام والإسلام وحده ـ هو الذي توفر فيه هذان العنصران، لأنه هو الدين الذي وضحت معالمه، وكَرُمَتْ مبادئه،

وثبتت مصادره، وحفظت من التغيير والتحريف، والتبديل والتَّصْحِيف.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤١، ٤٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وأنه كفيل بأن يحقق للإنسان ما يَنْشُدُهُ مِن ارتقاء، وما يرجوه من كمال ورفعة.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥، ١٦].

٦ ـ الإسلام دستور متكامل:

والإسلام هو الدستور الكامل، والمنهج الذي استهدف إقامة حياة إنسانية رفيعة.. يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فرد بأنه سَيِّدُ نفسه، ومَالك أمره، وأنه لا سلطان لأحد عليه، سوى سلطان الحق، الذي يَعْلو ولا يُعْلَى عليه.

وهو الذي أهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم، ليعرفوا آيات الله في الكون، وسننه في الخلق، وحكمته في الطبيعة.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وتعطيل قوى الإدراك، وعدم الانتفاع بها، يعتبر في نظره جريمة، يُسْأَلُ عنها الإنسان، ويحاسب عليها الحُسَابَ العسير.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

والإسلام بعقائده، وعباداته، ومُثُله، وقِيمَهِ، قد بعث الحياة في العواطف الجامدة، واليقظة في القلوب الهامدة، وحَرَّك حُوَاسّ الخير في الإنسان لتَتَّسعَ نفسه للعلاقات الحسنة، والصداقات الطيبة، والمعاشرة بالمعروف.

وإنه إلى جانب هذا حارب الظلم، والبغي، حتى لا تُهْدَرَ كَرَامَة أحد، ولا تُنْتَهَك حُرْمَة إنسان، ولا يشعر ضعيف بهوانٍ، ولا يحسَّ فقيرٌ بضياعٍ، ولا يُؤخَذَ مالٌ بغير حقٍّ.

وأنه أراد أن يقيم أطهر حياة وأنظفها على وجه الأرض:

حياة لا شِرْكَ فيها ولا وثنية...

بل فيها التوحيد الخالص، والعبادة لله الذي تَعْنُو له الوجوه.

حياة لا ظلم فيها ولا استبداد.

بل فيها حق، وعدالة، وحرية، وإخاء.

حياة لا جهل فيها ولا أمية.

بل فيها علم ومعرفة وحكمة.

حياة لا رفَثَ فيها ولا فسوق.

ولكن فيها طهارة، ونظافة وعَفَاف.

حياة لا حسد فيها ولا حقد.

بل فيها محبة، وتعاون، وتآزر وتناصر.

حياة لا سَرَف فيها ولا تَرَف.

بل فيها بَذْلٌ، وكَرَمٌ وإيثار.

حياة لا خَمْر فيها، ولا قمار.

بل فيها كَدْحٌ وَعَمَلٌ، وَطَلَبٌ لما أَحَلَّ الله.

وأنه استهدف تهذيب الفرد، وتعاون الجماعة، وإيجادَ حُكْم أَسَاسُه الشورى، وغايَتُهُ حراسَةُ الدِّين، وسِيَاسَة الدنيا، وجَعل في طليعة وظيفته الدعوة إلى هداية هذا الدين؛ لِتَعُمَّ الأُخُوَّةُ الإنسانية مما يُعَجِّل بسلامٍ عام، يعيشُ النَّاسُ في ظِلّه آمنين.

هذا هو الإسلام الذي يمكن أن نقدمه للناس في عصر العلم والاكتشاف الذري.

٧ ـ ضرورة تبني الدولة لدعوة الإسلام:

وإن هذا الوقت لهو أنسب الأوقات للنهوض بهذه الرسالة السامية.

فقد انتهت معظم الآراء في أوروبا وأمريكا إلى وَجوب المناداة بالعودة إلى الدين؛ لأن التطور المادي الذي لم يصحبه سند من روح تَطوُّرٌ خَطِرٌ لا غاية له إلا الخراب والدمار، وَلأن النفوس قد أفسدها الطمع، والجشع، والشر، والأنانية، وهم أحوج ما يكونون إلى

إصلاح هذه النفوس وعلاجها، ليسود المجتمع: المودة، والرحمة، والمعاونة، والإيثار، والسماحة، والطيبة.

وهذه الفضائل لا مَصْدَرَ لها إلا الدين والإيمان.

وليس من دينٍ سوى دين الإسلام، يستطيع تقديم هذه الفضائل الإنسانية، وليس هذا هو رأينا الخاص، وإنما هو رأي علماء الغرب الدين درسوا الإسلام، ووقفوا على حقائقه.

يقول جولد زيهر:

«إنه إذا أردنا الإنصاف ينبغي أن نؤمن بأن في منهج الإسلام قوة صالحة توجه الإنسان نحو الخير.

وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الإسلامية، حياة أخلاقية لا غبار عليها، ذلك.. أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله، والوفاء بالعهود وَالمحبة، والإخلاص، وكف غرائز الأنانية، إلى هذه الفضائل التي أخذها الإسلام من الديانات التي اعترف لأصحابها بالرسالة.

«المسلم الصالح هو الذي يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية».

ولكي يتم هذا في أقصر وقت وبأقل جهد، لا بد من أن تتبنى الدولة الاضطلاع بهذا العبء، أو تحتضنه أمة مخلصة، فإن جهد الأفراد أضعف من أن يحتمل النهوض بهذا الأمر الكبير.

وعلى الدولة، أو الأمة التي تَتَبَنَاهُ أن تتمثَّله عِلْماً وَعَملاً، وأن تكون صورة صادقة لمبادئه، وتعاليمه، كما جاء في الكتاب والسُّنة.

وَبعَرْضِ الإسلام في صورته الصحيحة وفي صورته العلمية التطبيقية نكون قد أقمنا الدعوة الإسلامية على أساس متين. بينما يكون علمنا وعملنا أقوى حجة، وأوضح برهاناً، في الإقناع، والاستدلال وإفحام من يَتَصَدَّى لنا من الخصوم المعارضين.

إن الإسلام قوي بنفسه؛ لأنه الحق، ولكنه في حاجة إلى رجال يوضحون حقائقه، ويظهرون معالمه، ويضحون من أجله.

وإن أي جهد يبذل من أجل الإسلام لهو خدمة للإنسانية نفسها وهي أحوج ما تكون إليه.

وإن مئات الملايين من البشر الذين يؤمنون بالإسلام ويدينون به، والذين يشغلون حيزاً كبيراً من أرض الله الواسعة، ليحتاجون إلى من يزيدهم علماً بالإسلام، وتبصراً به، وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين، وأنصاره المخلصين، ولن يدخروا وسعاً في إعزازه وتأييده، ومناصرة كل من يمد يده إليهم.

إن صراع المبادىء اليوم على أشده، وإنه بالغ غاية العنف.

وإن كل دولة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها، لترويج أفكارها والدعاية لمذاهبها، فتنشىء الوزارات، وتجهز الأجهزة، وتستغل الطاقات الفكرية والأدبية، والفنية، لتأييد ما تراه، وإقناع الآخرين به.

وإذا كانت هذه الدول تنفق عن سعة، وتبذل هذه الجهود، من أجل تأييد أفكارها البشرية، القابلة للتغيير والتبديل، فإن المسلمين أحق بالبذل وأولى بالتضحية، وأجدر بالتنظيم؛ لحماية الإسلام الحق، والتبشير به، والدعاية له، في آفاق الدنيا الرحبة، المتعطشة لهداية الله، والفقيرة إلى من يَرشدها إلى الحق وَيُنِيرُ لها الطريق.

وإن هذا لهو جهاد الوقت، ولا يقل في قيمته عن جهاد الحرب والقتال.

وأَيُّ جُهْدٍ يبذل في هذا السبيل لهو جُهْدٌ عظيم يباركه الله، ويثيبُ عليه أجزل مثوبة.

وقياماً بحق الله علينا، ووفاء لهذا الدين الذي شرفنا الله بالانتِسَاب إليه.

نتقدم بهذه الدراسات، التي توضح بعض حقائق الإسلام في جوانبه الثلاثة:

الجانب الروحي...

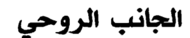
والجانب الخُلُقِي...

والجانب الاجتماعي..

وهي دراسات إسلامية صميمة، لم نعول فيها إلا على المصادر الأصيلة للإسلام، ولم نشأ أن نُقْحِمْ فيها أَنفُسَنَا، أو نُؤَوِّلَهَا تأويلاً يُخْرِجُها عن مضمونها الصحيح.

وإنما أردنا أن نعرض الإسلام كما هو؛ ليتبين مدى صلاحية هذا الدين، وأنه الحق كلُّ الحقُّ، الذي يَعْلو ولا يُعْلى عليه، وأنه الروح والنور والهدى..

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].



الجانب الروحي

* انظرُوا مَاذا في السَّمواتِ وَالأرضِ.
* الإيمَان بضْعٌ وسَبعونَ شعبَة..
* ومَا لَنَا ألا نَتوكّل علَى الله...
* طوبَى لِلمخَلّصِينَ...
* أَحِبُّوا الله بِمَا يَغذُوكُمْ بِهِ.
* إذا أحبَّ الله عَبداً...
* لئِن شكَرتُم لأزيدنَّكُمْ.
* إن تتّقوا الله يجعل لَكُم فرقَاناً.
* إنما يخشَى الله مِن عِبَادِهِ العُلماء.
* لا تقنَطوا مِن رَحمَة اللَّهِ.
* لا إلهَ إلا أنَا فَاعْبُدون.

انظر ماذا في السموات والأرض

١ ـ التفكير هو الحياة:

إن ما ينعم البشر به من حضارة راقية، ومدنية زاهرة، إنما هو نتاج عقل ذكي ملهم، وثمرة تفكير عميق مشرق.

ولولا يقظة العقل ما اهتدت الإنسانية إلى قوانين الحياة، وعلل الوجود، وسنن الله في الكون، وما ارتقت خطوة واحدة، ولبقيت على الحالة التي خلقت عليها دون أن تتغير أو تتطور.

ولكن العقل الذكي استطاع بمحاولاته المظفرة، أن ينطلق من إساره، ويحطم القيود التي فرضت عليه زمناً طويلاً، فأمكنه أن يستخرج من الأرض كنوزها، ويتغلب على جَذْبها، ويزيد في إنتاجها، ويقرب المسافات البعيدة، ويخفف من الأدواء الفتاكة، ويكتشف هذه المعلومات في البر والبحر والجو، والتي تبلغ بالحياة إلى مستوى رفيع، ما كان أحد من أجدادنا ليحلم به.

إن لكل عضو وظيفة، ووظيفة العقل هي التأمل والنظر والتفكير، وإذا تعطلت هذه القوى، بطل عمل العقل، وعطل من أهم وظائفه، وتبع ذلك توقف نشاط الحياة، مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء.

والإسلام أراد للعقل أن ينهض من عقاله، ويفيق من سُباته، فدعا إلى النظر والتفكير، وعد ذلك من جوهر العبادة، فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦].

وأخرج ابن حِبَّان عن عليّ عن الرسول ﷺ قال: «**لا عبادة كالتفكير**».

وعن ابن عباس وأبي الدرداء: فكر ساعة خير من قيام ليلة.

وقال السَّرى السقَطيّ: فكرة ساعة خير من عبادة سنة.

وقالت عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ:

إن رسول الله ﷺ، قام ذات ليلة وتوضأ: ودخل في الصلاة، وبقي يصلي ويبكي حتى آذنه بلال بصلاة الصبح.

قالت: فقلت:

يا رسول الله علام البكاء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال: «**يا عائشة**:

أفلا أكون عبداً شكوراً،

ولم لا أفعل، وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

ثم قال: **«ويل لمن قرأها ولم يفكر فيها»**[١].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما رجل مستلق على فراشه، إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم».

فقال:

«أشهد أن لك رباً وخالقاً، اللهم اغفر لي.

فنظر الله إليه فغفر له»[٢].

والذين يجحدون نعمة العقل ولا يستعملونه فيما خلق من أجله، ويغفلون عن آيات الله، هم موضع الازدراء والتحقير، والله سبحانه يعتب عليهم فيقول:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥].

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه الثعلبي وفي سنده من لا يعرف.

ويقول:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [يس: ٤٦].

وتعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان، وهو الذي حال بين الأقدميين وبين النفوذ إلى الحقائق في الآفاق وفي الأنفس.

يقول الله سبحانه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٢ ـ التقليد حجاب التفكير:

والتقليد هو المانع للعقل من الانطلاق، والمعوق له عن التفكير.

ومن ثم فالله يثني على الذين يخلصون للحقائق، ويميزون بين الأشياء بعد البحث والتمحيص، فيأخذون الأحسن، ويدعون غيره، يقول جل شأنه:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

ويندد بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم، ويجمدون على القديم المألوف ولو كان الجديد أهدى وأجدى لهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

٣ ـ ميادين التفكير:

والإسلام حين دعا إلى التفكير ورحب به، إنما أراد أن يكون ذلك في دائرة نطاق العقل وحدود مداركه، فدعا إلى النظر فيما خلق الله من شيء، في السموات والأرض، وفي الإنسان نفسه، وفي الجماعات البشرية، ولم يحظر عليه إلا التفكير في ذات الله، لأن ذات الله فوق الإدراك.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَٰرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

ورسول الله ﷺ يقول:

«تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروه قدروه»[(١)].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف.
ورواه الأصفهاني في «الترغيب والترهيب» بإسناد أصح منه.

ومن الآيات الداعية إلى النظر والتفكير في رحاب الكون الفسيحة، قول الله سبحانه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ﴾ [ق: ٦ ـ ١١].

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٣، ٤].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ

ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧ ـ ٢٨].

وفي الدعوة إلى النظر في الجماعة البشرية يقول الله سبحانه:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

وفي الدعوة إلى النظر في الإنسان نفسه يقول الله سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الروم: ٩].

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل: ٦٩].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وهكذا يمضي القرآن في مئات الآيات، يدعو إلى النظر في مجالات الكون الفسيحة، ليهتدي الإنسان إلى مبدع العالم وخالقه، وليعرف حقائق الأشياء وخصائصها، كي يتسنى له الانتفاع بما أودع فيها من قوى.

وتبدو عناية القرآن في الدعوة إلى النظر في الإنسان ومجتمعه، ليكشف عن صفاته ومميزاته كفرد، وعن السنن والقوانين التي تحكم مجتمعه، والتي لا يمكن معرفتها إلا بالبحث الدقيق، والنظر العميق، والملاحظة الواعية.

وكما يجب التفكير في الآيات الكونية فإنه يجب التفكير في آيات الله المتلوة وهي القرآن الكريم وليس من الميسور فهم أسراره وإدراك معانيه إلا بعد إعمال الفكر، وإمعان النظر.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

ومن مزايا الإسلام أنه يوجب الاجتهاد فيما لا نص فيه من كتاب ولا سنة ويجعل القياس مصدراً من مصادر التشريع.

والاجتهاد يقتضي فهم الواقع فهماً دقيقاً، وإدراكه إدراكاً واعياً، كما يقتضي الإحاطة بعلوم الشريعة وفقه أسرارها.

ولا يجيز الإسلام أن يخلو عصر من إمام مجتهد يبصر الناس بما يجد من قضايا تحتاج إلى معرفة حكم الله فيها. والمجتهد مأجور على كل حال. وإن لم يهتد إلى الحق، أو يصب حكم الله.

يقول الرسول ﷺ:

«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

إن آفاق التفكير في الإسلام كما يبدو رحبة، وميادينه فسيحة، لا تحد بحدٍّ، ولا تقف عند نهاية.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩ ـ ٢٢٠].

وما أوسع الدنيا. وسعتها ليست بشيء في جانب سعة الآخرة.

نتيجة الدعوة إلى التفكير:

كان من نتاج هذه الدعوة المباركة إلى التفكير، أن أخذت العقول حريتها من النظر والتأمل، ونهض كل إمام من أئمة العلم والفكر يبحث ويدرس ويجتهد في العقائد، والفقه، والفلسفة، وسائر العلوم، والفنون، دون أن يجد ما يعوق نشاطه الفكري، واستقلاله العقلي، فكان من ذلك كله هذه الحضارة التي نفخر بها نحن المسلمون، والتي كانت هي الأساس التي قامت عليها نهضة أوروبا ومدنيتها، وشهد بذلك شاهد من أهلها.

قال الأستاذ «ليبيرى»:

لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون.

الإيمان بضع وسبعون شعبة

١ ـ ارتباط السلوك بالعقيدة:

سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة، مظهر من مظاهر عقيدته.

فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام. وإذا فسدت فسد واعوجّ.

ومن ثَمَّ، كانت عقيدة التوحيد، والإيمان، ضرورة، لا يستغني عنها الإنسان ليستكمل شخصيته، ويحقق إنسانيته.

ولقد كانت الدعوة إلى هذه العقيدة، أول شيء قام به رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة.

ذلك، أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية، يسمو بها عن الماديات الوضيعة، ويوجهها دائماً وجهة الخير والنبل، والنزاهة والشرف.

وإذا سيطرت هذه العقيدة أثمرت الفضائل الإنسانية العليا، من الشجاعة والكرم، والسماحة والطمأنينة، والإيثار والتضحية.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

فالإيمان مثله مثل الشجرة المثمرة التي لا ينقطع ثمرها؛ فهي تؤتى أكلها كل حين في صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، والمؤمن كذلك، لا يزال يرفع له عمل صالح، في كل وقت وحين.

يقول الفيلسوف ابن سينا:

العارف شجاع.

وكيف لا؟ وهو بمعزل عن تقيَّه[1] الموت.

وجواد.

وكيف لا؟ وهو بمعزل عن محبة الباطل.

وصفَّاحٌ.

وكيف لا؟ ونفسه أكبر من أن تجرحها زَلَّة بشر.

ونسَّاء للأحقاد.

وكيف لا؟ وفكره مشغول بالحق.

ولهذا كثر في القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح، لأنه ثمرة من ثماره، وأثر من آثاره.

---

(١) لا يتخذ الوقاية من الموت.

٢ ـ تناول الإيمان لجميع فروع الدين:

وإن رسول الله، أطلق لفظ الإيمان على جميع فروع الدين فقال:

«الإيمان بضْع وستون شُعبة، والحياءُ شُعْبة من الإيمان»[١].

ورواية مسلم: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياءُ شعبة من الإيمان»**.

وهذه الفروع والشعب، منها ما يتعلق بالجنان[٢]، ومنها ما يتعلق باللسان، ومنها ما يتعلق بالأبدان.

فأما ما يتعلق بالقلب، فهي المعتقدات والنيَّات.. وتنتظم الخصال الآتية: الإيمان بالله، وتوحيده، وأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته، وكتبه ورسله.

والإيمان بالقَدر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر. ويدخل فيه سؤال القبر، والبعث، والنشور والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

ومحبة الله، والحب والبغض في الله.

---

(١) رواه البخاري ومسلم، والبضع من ثلاثة إلى تسعة.

(٢) الجنان: القلب.

ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته.

والإخلاص لله، وترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف والرجاء، والشكر والوفاء، والصبر والرضا بالقضاء، والتوكل والرحمة، والتواضع، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد والحقد والغضب.

وأما ما يتعلق باللسان فهي هذه الخصال:

التلفظ بالشهادتين، وتلاوة القرآن، وتعلّم العلم وتعليمه، والدعاء، والذّكر، واجتناب اللغو.

وأما الخصال التي تتعلق بالأبدان فهي:

التطهر حسًا وحكماً، واجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضاً ونفلاً، والزكاة، والجود، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، وتحرير العبيد، والصيام فرضاً ونفلاً، والحج والعُمرة، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، والهجرة من دار الحرب، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

والتعفف بالزواج، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، واجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم.

والقيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولى الأمر، والإصلاح بين الناس، وقتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد والمرابطة في سبيل الله، وأداء الخمس من الغنيمة، والقرض مع

وفائه. وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وجمع المال من حلّه، وإنفاقه في حقه، وترك التبذير والإسراف، وردّ السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

هذا هو الإيمان الحق وهو ينتظم العقائد، والعبادات، والأخلاق والآداب وسائر المعاملات، وهذا ما اتفق عليه علماء السلف.

قال الإمام البخاري:

لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعملٌ، ويزيد وينقص[1].

٣ ـ أثر الإيمان في الحياة:

والإيمان بهذا المعنى: هو الذي أراده الإسلام وهو الذي يهذب الحياة ويرقيها، ويصل بها إلى المدنية الحقة، ويبلغها ما تنشده من الخير والتقدم وما تستهدفه من الحق والعدل.

وهو الإيمان الذي ينعم به الفرد، وتسعد به الجماعة وتحيا في ظله الحياة الطيبة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وفي ظلال العيشة الراضية، تتوفر عناصر الارتقاء المادي

(١) ص ٤٠ فتح الباري جزء أول.

والروحي، ويجد الإنسان من عناية الله وولايته وكرامته ما يبلغه ذروة الكمال الذي أراده الله له.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

وهذا الإيمان هو الذي زكّى نفوس المؤمنين الأولين، وطهّرها من الحسد والحقد، والكبر والعجب، والفسق والفحش، والظلم والجور، والقسوة والغلظة، والأثرة والأنانية، وهو الذي خلصهم من دَرَن التربية الفاسدة، وَوَضر البيئة الرديئة، وشر الوراثات السافلة.

وهو الذي أعلى هممهم، فطلبوا معالي الأمور، ووطّنوا أنفسهم على إمامة البشر، وقيادة الأمم، وتحريرها من الخرافات، واستبداد الملوك، وتطهير الأرض من الكفر والفساد.

هذا الإيمان هو الذي مكّن لهم من الفتح والظفر، والعلم والعمل وإقامة الحضارة التي شعَّ نورها، وعمَّ خيرها مشارق الأرض ومغاربها، في سنين تعدّ على الأصابع.

قال الدكتور غوستاف لبون في كتابه «تطور الأمم»:

إن مَلكة الفنون لا يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال:

أولها: جيل التقليد.

ثانيها: جيل الخضرمة.

ثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص.

إلا العرب وحدهم. فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدأوا فيه بمزاولتها.

وما أصدق ما قاله النابغة الجعدي:

بلغنا السماء مَجْدُنا وسَناؤنا

وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهرا

فقال له النبي ﷺ: **«ما المظهر يا أبا ليلى؟»** قال: الجنة. قال: **«إن شاء الله..!»**.

٤ ـ الكفر مدمر للشخصية الإنسانية:

وإذا كان للإيمان هذه الثمار الطيبة في حياة الإنسان وفي سلوكه، فإن الكفر على النقيض من ذلك.

فهو مصدر الشرور والمفاسد، ومنبع الرذائل والنقائص، بل هو المدمر لشخصية الإنسان، والمحطم لكيانه، والقاضي على كل خصائصه ومميزاته، كخليفة عن الله في الأرض.

والقرآن الكريم ينعي على الكافرين ويندد بهم، ويرسم لهم صورة كالحة منفرة، تدعو إلى التحقير والاشمئزاز.

فهم في نظره يحيون حياة الحيوان، فليس لهم رسالة كريمة، ولا غاية نبيلة، ولا هدف سام، وحياة الحيوان هذه لا تتجاوز المتاع والطعام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

فهي إذن حياة لذة، ولهو وشهوة. ليس فيها تفكير ولا تأمل ولا عمق.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥].

وفي هذا الجو الحيواني تغلق منافذ الإدراك، وتتعطل مواهب العقل والسمع والبصر، فلا ينفذ معها شعاع يضيء القلب الإنساني، ويعمره بالحياة والإيمان.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومتى أغلق القلب، وحيل بينه وبين النور الإلهي، اعترته الحيرة، وساورته الشكوك، ولزمه الضلال، والضيق، والضجر.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وهنا يكثر الجدل العقيم، لا طلباً للهداية، ولا توسلاً إلى الحقيقة، ولا اعتماداً على دليل، أو استناداً إلى حجة، أو استنارة بكتاب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ [الحج: ٨ ـ ٩].

وعندما ينقطع الدليل وتبطل الحجة، يكون الحقد على الأديان، والغيظ من حملتها، والتبرم بهم، والضيق منهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢].

ثم يتبع ذلك الاستهزاء بالرسل، وتحقير تعاليمهم، والاستخفاف بأتباعهم والضحك منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٢].

ومن الطبيعي أنهم بعد ذلك ينفرون من الدعوة والداعية. فلا تصغي إليه أفئدتهم، ولا تسمع له آذانهم.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

وليت الأمر يقف عند هذا الحد.

بل يطلقون ألسنتهم بالكذب، وينقضون العهد، ويزوّرون الحقائق، ويموّهون على الناس.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥].

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦].

ويقدمون اللهو والضلال ليصرفوا الناس عن الهدى والرشاد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان: ٦].

وهم لا يلتفتون إلى الحق مهما ظهرت أدلته ووضحت معالمه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

بل يصل بهم الأمر إلى حدّ القتال في سبيل الشيطان، ومن أجل الباطل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

إن الكفر هو الشجرة الخبيثة التي تثمر المرّ والشر، وإن على الهداة المخلصين للحياة، والمحبين لها، أن يخلّصوا الإنسانية من مآثم الكفر وضلال الجحود والإلحاد.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٦، ٢٧].

طوبى للمخلصين

١ ـ معنى الإخلاص:

الإخلاص: أن يقصد الإنسان بقوله، وعمله وجهاده، وجه الله، وابتغاء مرضاته من غير نظر إلى مغنم، أو جاه، أو لقب، أو مظهر، أو تقدم، أو تأخر، ليرتفع المرء عن نقائص الأعمال، ورذائل الأخلاق، ويتصل مباشرة بالله.

٢ ـ دعوة الإسلام إليه:

وقد دعا الإسلام إليه ورغب فيه، فقال:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وأمر الله به فقال:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وجعل قبول الأعمال رهناً به ووقفاً عليه.

روى ابن أبي حاتم، عن طاووس، أن رجلاً قال: يا رسول

الله... إني أقف المواقف، أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني؟ فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً، حتى نزلت هذه الآية:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص دليل كمال الإيمان.

روى أبو داود، والترمذي، بسند حسن أن رسول الله ﷺ ، قال: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»**.

والله سبحانه ينظر إلى القلوب، لا إلى المظاهر والأشكال.

فعن أبي هريرة، أن الرسول قال:

«إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» (رواه مسلم).

وعن أبي موسى الأشعري، قال:

سئل الرسول عليه السلام... الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّةً، ويقاتل رِيَاءً، أي ذلك في سبيل الله؟

فقال ﷺ : **«من قاتل لتكونَ كَلِمةُ اللَّهِ هي العليا فهو في سبيل الله»** (رواه البخاري ومسلم).

أي قاتل من أجل إعلاء الحق ورفع رايته.

٣ ـ متى يكون العمل خيراً؟

والعمل لا يعتد به، ولا يعتبر خيراً إلا إذا كان عن نية طيبة، خالصة لوجه الله، لأن العمل حينئذٍ يناط بغاية واحدة، ومثل أعلى هو الله...

والله لا يأمر إلا بالخير، ولا يحب إلا الخير، فتكون وجهة الإنسان في الحياة وجهة الخير لنفسه، وللناس جميعاً.

فعن عمر ـ رضي الله عنه ـ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله**(١)**، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»**(٢).

٤ ـ قيمة الإخلاص:

والإخلاص، والنية الطيبة، تبلغ بالإنسان الذروة من السمو والرفعة، وتنزله منازل الأبرار.

يقول الرسول ﷺ: **«طوبى للمخلصين: الذين إذا حضروا لم يعرفوا.. وإذا غابوا لم يفتقدوا.. أولئك هم مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء»**.. (رواه البيهقي عن ثوبان).

والإخلاص نجاة لما يتعرض له المرء من محن.

عن أبي عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) أي فهجرته مقبولة.

(٢) فلا يثاب عليها ولا يظهر بدرجة المهاجرين. رواه البخاري ومسلم.

«انطلق ثلاثة نفر [١] ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه.

فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا:

إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبُق قبلهما أهلاً ولا مالاً [٢] فنأى [٣] بي طلب الشجر يوماً. فلم أرح [٤] عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبُوقَهما [٥]، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أَغْبُق قبلهما أهلاً أو مالاً.

فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغَوْن [٦] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر:

اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إليّ، وفي رواية: كنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها [٧]،

---

(١) النفر: من ثلاثة إلى عشرة.
(٢) لا أقدم عليهم في شرب اللبن أهلاً ولا غير أهل.
(٣) نأى: بعد.
(٤) لم أرح: أرجع إليهما.
(٥) الغبوق: ما يشرب بالعشي.
(٦) يصيحون من الجوع.
(٧) راودتها.

فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة [1] من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها. ففعلت.. حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه [2].

فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث:

اللهم إني استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت [3] أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال:

يا عبد الله أدّ إلي أجري. فقلت:

كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال:

يا عبد الله. لا تستهزىء بي. فقلت:

لا أستهزىء بك.

فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً.

اللهم: إن كنت فعلت ذلك، ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون» (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) نزل بها عام قحط.

(٢) أي إلا بعقد شرعي.

(٣) ثمرت: نميت.

والاتصاف بصفة الإخلاص والصدق يكسب الفرد، النجاح والظفر، والجماعة التي تتألف من أفراد مخلصين، تتجه إلى الخير، وتتنزه عن الدنايا، وتترفع عن شهوات الدنيا، وتسير إلى غاياتها، تظللها المحبة ويعمها الأمن والسلام.

ولقد كان التحلي بحلية الإخلاص سبباً في تطهير أنفس الصحابة من الرياء والنفاق، والكذب، فاندفعوا إلى غاياتهم الكبرى، ينشدون إقامة الحق والعدل ويبتغون وجه الله، وإعلاء كلمته.

فمكن الله لهم في الأرض، وجعلهم قادة الدنيا، وسادة العالم.

والأعذار التي تحول بين الإنسان وبين ممارسة الأعمال الصالحة، لا تنقص من مكانته عند الله ما دام مخلصاً.

فعن جابر بن عبد الله، قال:

كنا مع النبي ﷺ، في غزوة تبوك، فقال:

«إن بالمدينة لرجالاً، ما سرتم سيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض». وفي رواية: **«إلا شركوكم في الأجر»** (رواه أبو داود والترمذي).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ، قال:

«ما من امرئ تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم، إلا كتب له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة» (رواه أبو داود والترمذي).

وعن سهل بن حنيف، أن النبي ﷺ، قال:

«من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

٥ ـ الرياء ونية السوء:

وكما أن الاتصاف بالإخلاص والنية الطيبة تصل بالإنسان إلى المنزلة الرفيعة، فالاتصاف بالرياء ونية السوء، تهبط به إلى أسفل الدركات، لأن الباعث على العمل ـ وهو العنصر الأخلاقي ـ هو موضع نظر الرب سبحانه.

فعن أبي بَكْر، أن النبي ﷺ، قال:

«إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار».

قلت يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: **«إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»** (رواه البخاري ومسلم).

فحرص المقتول على قتل صاحبه، أورده النار.

والله سبحانه يحاسب على ما أبداه الإنسان أو أخفاه.

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقد أوضح رسول الله ﷺ، هذا المعنى فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ، قال:

«إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة.

إن هم بها فعملها، كتبها الله عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة[1].

---

(١) المضاعفة حسب إخلاص المرء.

وإن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة[1]**، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»** (رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس).

والرياء من شأنه أن يحجب المرء عن الله، وينزل به إلى مستوى الحيوان، فلا تزكو له نفس، ولا يقبل منه عمل، ذلك أن المرائي لا رأي له، ولا مبدأ ولا عقيدة، ولكنه كالحرباء، يتلون بكل لون، ويميل مع كل ريح.

والرياء معناه:

طلب المنزلة والجاه بالعبادات.

والله سبحانه نهى عنه وحذر منه؛ لما له من آثار سيئة في النفس وفي المجتمع فقال:

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

والذين يمكرون السيئات هم أهل الرياء.

وهو صفة من صفات المنافقين الذين لا يثبتون على مبدأ، ولا يتقيدون بعقيدة صالحة.

---

(١) إذا كان قد تركها خوفاً من الله وإيماناً به؛ أما إذا تركها لعجز عن مباشرتها فلا شيء له من الحسنات، بل إذا صمم على الفعل ولم يتمكن منه بسبب خارج عن إرادته فهو يؤاخذ بنيته. كما في حديث أبي بكرة. وهذا خاص بالهم. أما إذا لم يبلغ الأمر درجة الهم بل بقي حديث نفس، فإن الله يتجاوز عنه ففي الحديث الصحيح: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها».

يقول الله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وهذا الخداع سيكشفه الله، ويهتك ستره، ويفضح المرائي المخادع، جزاء ريائه وخداعه.

يقول الرسول ﷺ: **«من سَّمع، سَّمع الله به[1]، ومن يرائي يرائي الله به»**[2].

والرياء نوع من الشرك المحبط للعمل.

فعن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ، قال: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**.

قالوا: ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: **«الرياء»**.

يقول الله يوم القيامة: إذا جزى الناس بأعمالهم: يقول:

«اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا. فانظروا، هل تجدون عندهم جزاء؟».

والإسلام يريد للإنسان أن يكون سره كإعلانه، وظلمة ليله كضوء نهاره.

---

(١) سمع: أظهر عمله للناس رياء. سمع الله به: فضحه.

(٢) يرائي: يظهر عمله الصالح للناس ليعظم عندهم، وليس هو كذلك. يرائي الله به: يظهر سريته على رؤوس الخلائق.

فإذا اختلف الظاهر والباطن، وتعارض القول والفعل وتأرجح الإنسان بين دوافع الخير ونوازع الشر، كان النفاق الذي يفقد المرء شخصيته، فلا يقدر على الجهر بالحق، ولا يقوى على المصارحة، ولا يقف موقف البطل الشجاع.

روى البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن ناساً قالوا له:

إنا ندخل على سلاطيننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم، إذا خرجنا من عندهم.

قال ابن عمر:

كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

وإن من يتتبع الآثار السيئة للرياء والنفاق، في المجتمع البشري، وفي الحياة الإنسانية، ومدى ما أحدثاه من فساد في الخلق، واضطراب في النظم، وتغيير للعرف الصالح، وتعويق عن النهوض والارتقاء، ليدرك بسهولة معنى ما رواه مسلم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أول الناس يُقْضَى[(١)] يوم القيامة عليه، رجل اسْتُشْهِد[(٢)] فأتي به، فعرفه نعمته، فعرفها[(٣)] قال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلت فيك[(٤)] حتى استشهدت.

---

(١) يقضي: يحكم.

(٢) قتل في المعركة.

(٣) أتى: بين يدي الله. فرد عليه نعمة فاعترف بها.

(٤) أي من أجل دينك وفي سبيل مرضاتك.

قال: كذبت[1] ولكنك قاتلت لأن يقال جريء[2] فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها.

قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن.

قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارىء. فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها.

قال: فما عملت فيها؟

قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك.

قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار».

---

(١) أسند إليه الكذب لمخالفة ظاهر العمل للقصد والنية، فإن ظاهره لله. وباطنه مرآة الناس.

(٢) جريء: شجاع.

٦ ـ الإعجاب بثناء الناس لا ينافي الإخلاص:

وإذا عمل المرء العمل وأخلص فيه ثم اطلع عليه الناس دون قصد منه، وأعجبه ثناؤهم عليه، وحمدهم له، فهذا لا يحبط العمل، ولا ينافي الإخلاص.

وروى الترمذي عن أبي هريرة، أن رجلاً قال:

يا رسول الله. الرجل يعمل العمل فَيُسِرُّه [1]، فإذا اطُّلع عليه أعجبه ذلك؟

قال رسول الله ﷺ: **«له أجران: أجر السر، وأجر العلانية»**.

بل قد يكون ثناء الناس من البشريات المعجلة، فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل رسول الله ﷺ قال: أرأيت [2] الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه؟

قال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»** (رواه مسلم).

٧ ـ اتقاء الرياء:

عن أبي موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال:

«يا أيها الناس: اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل».

فقال رجل: وكيف نتقيه؟

قال: **قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»** (رواه أحمد).

---

(١) يخفيه على الناس لإخلاصه.

(٢) أي أخبرني.

وما لنا ألا نتوكل على اللّه

معناه:

١ - التوكل على الله هو الثقة به، والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به في كل شأن، والإيقان بأن قضاءه نافذ، والسعي فيما لا بد منه من مطعم، وملبس، ومسكن، والتحرز من العدو، كما فعله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والتوكل محله القلب.

قال القشيري: وأما الحركة في الظاهر فلا تنافي توكل القلب، بعدما تحقق العبد، فإن التقدير من فعل الله عز وجل، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره.

ضرورته:

٢ - والإنسان وهو في صراعه مع الحياة تنتابه المخاوف، وتعتريه الصعاب، وتنزل به الآلام النفسية، فلا يجد للحياة طعماً، ولا يستطيع مع هذا القلق أن يقوم بدوره الرئيسي في إسعاد نفسه ونفع غيره، فتتعطل قواه المادية والأدبية، ويصبح شيئاً تافهاً لا قيمة له ولا غناء فيه.

والحياة لا تطيب للإنسان، ولا يسعد بها، ولا يستطيع أن يقوم بدوره الكامل فيها، إلا إذا استمتع بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وراحة البال، وعافية البدن.

وسبيل ذلك أن يثق بالله، ويحسن الظن به، ويتوكل عليه، ويرد أمره كله إليه.

ففي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني**».

ومن ثم كان التوكل على الله ضرورة، لا يستغني عنها العالم، ولا العامل، ولا الرجل ولا المرأة، ولا الحاكم، ولا المحكوم، ولا الصغير، ولا الكبير. لحاجة هؤلاء جميعاً إلى يد قوية حانية، تعينهم إذا أقدموا من جانب، وتمسح آلامهم إذا أخفقوا من جانب آخر.

الدعوة إليه:

٣ ـ وإن الناظر في الإسلام يرى دعوته صريحة في الاتصاف بهذه الصفة والتحلي بها.

فالله سبحانه يأمر بالتوكل عليه فيقول:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

والتوكل ثمرة من ثمرات الإيمان:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

والمتوكلون على الله يكفيهم كل ما أهمهم من أمر الدين والدنيا:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ١٣].

أي كافيه.

والتوكل منهج الرسل جميعاً، إليه يلجأون، وبه يلوذون، فالقرآن يحكي أنهم كانوا دائماً يقولون:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢﴾ [إبراهيم: ١٢].

والمسلمون بعد غزوة أحد، حين هددوا بتجمع الأعداء، وقيل لهم: إن المشركين قد اجتمعوا للقضاء عليكم. لم يبالوا بذلك معتمدين على الله ومفوضين الأمر له.

فصرف الله عنهم العدو، وسجل لهم هذا الموقف القوي الرائع، فقال:

﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧١ ـ ١٧٤].

ويقول الرسول ﷺ:

«إن حسن الظن بالله من عبادة الله» (رواه أبو داود والترمذي والحاكم).

وعن أبي هريرة عن النبيﷺ قال:

«يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير».

قيل معناه: أنهم متوكلون.

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال:

سمعت رسول اللهﷺ يقول:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصاً، وتروح بطاناً» (رواه الترمذي).

أي أن الطير تصبح جائعة ضامرة البطون، ليس في حوصلتها شيء من الطعام، وترجع آخر النهار وقد امتلأت بطونها من رزق الله.

وإبراهيم عليه السلام كان آخر قوله حين ألقي في النار:

حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْم الوكيلُ فأنجاه الله من النار، وجعلها برداً وسلاماً عليه.

وقال جابر: كنا مع رسول اللهﷺ بذات الرّقاع[1].

فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول اللهﷺ.

فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله معلق بالشجرة، فاخترطه (أي سله).

فقال: تخافني؟

(١) اسم لغزوة من الغزوات.

فقال: «لا».

قال: فمن يمنعك مني؟

قال: **«الله».**

فسقط السيف من يده، فأخذ الرسول ﷺ السيف فقال:

«من يمنعك مني؟».

فقال: كن خير آخذ.

فقال: **«تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله».**

قال: لا، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلى الرسول سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وأراد رسول الله ﷺ ـ أن يجعل التوكل شعاراً للمؤمن، فأرشد إليّ أدعية يدعو بها في الصباح، وفي المساء، وحين يخرج من بيته، أو يأوي إلى فراشه، لما في هذه الأدعية من إيقاظ القلب، وتوجيه النفس إلى الله في كل حال.

فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ، كان إذا خرج من بيته، قال: **«باسم الله. توكلت على الله. اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أظلِم، أو أُظْلَمَ، أو أجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ»** (رواه أبو داود والترمذي: وقال حديث حسن صحيح).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ باسم**

الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت، وكُفيت، ووُقيت، وتنحى عنك الشيطان»[1].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«من قال في كل يوم ـ حين يصبح ويمسي: حَسْبي اللَّهُ لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة».

وعن طلق بن حبيب، قال: جاء إلى أبي الدرداء، فقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك.

فقال: ما احترق، لم يكن الله عزَّ وجلَّ ليفعل ذلك بكلمات سمعتهم من رسول الله ﷺ يقول:

«من قالها أولَ نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخرَ النهار لم تصبه مصيبةٌ حتى يصبح:

اللهمَّ أنتَ ربي لا إله إلا أنتَ عليك توكلت وأنتَ رب العرش العظيم. ما شاء اللَّهُ كان وما لم يَشاء لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي. وقال: حديث حسن. وزاد أبو داود: فيقول [يعني الشيطان] لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى..؟

اللهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ كل دَابَّة أنت آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم».

وفي بعض الروايات أنه قال: انهضوا بنا.

فقام وقاموا معه، فانتبهوا إلى داره وقد احترق ما حولها، ولم يصبها شيء.

ووصّى رسول الله ﷺ البراء فقال:

«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءَك للصلاة، ثم اضطجع على شقِّك الأيمن وقل:

اللهم أسلمت نفسي إليك..

ووجَّهت وَجْهي إليك..

وفَوَّضْتُ أمري إليك..

وألجأتُ ظهري إليك..

رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليك..

لا مَلْجَأ ولا منجى مِنْك إلا إليك.

آمنتُ بكتابِك الذي أنزلتَ.

ونبيِّك الذي أرسلتَ».

ثم قال: «فإن مت متَّ على الفطْرَة، واجعلهن آخر ما تقول».

٤ ـ التوكل والأسباب:

والتوكل على الله لا ينافي اتخاذ الأسباب. بل إن التوكل لا يصح إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريده جميع الأسباب الموصلة إلى تحقيقه، فالله سبحانه قد ربط المسببات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها.

والإنسان مسوق إلى الأخذ بالأسباب بمقتضى فطرته وبمقتضى تكليف الله له... وإهمال هذه الأسباب منافٍ للفطرة، ومخالف لأمر الله.

﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ٥١].

﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى مخاطباً «لوطاً عليه السلام» لينجو بأهله:

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١].

وقال لموسى عليه السلام في مثل هذا الموقف:

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الدخان: ٢٣].

وقال في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وتحذير أبيه له منهم:

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وقال:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

وفي العلاج والتداوي يأمر الدين بالأخذ بأسبابهما ويحض عليهما.

يقول ﷺ :

«أيها الناس تداووا، إن الله ما وضع داء إلا جعل له شفاء».

وقد كان الرسول ﷺ سيد المتوكلين، ومع ذلك فقد كان يأخذ لكل أمر عدّته، ويستعد لملاقاة أعدائه الاستعداد الكامل، ويتخذ جميع أسبابَ النصر، وكان يعمل ويسعى للكسب، ويأمر غيره بالسعي والكدح، وما كان يترك السبب الذي جعله الله موصلاً إلى الغاية؛ إذ إن ترك السبب مجافاة النظام الذي وضعه الله للحياة، وما كانت مجافاة نظام الحياة موصلة إلى شيء.

وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وأراد أن يترك ناقته على باب المسجد دون أن يعقلها[1] فقال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ فقال النبي ﷺ : **«اعقلها وتوكل»**[2].

فالتوكل لا يتحقق إلا باتخاذ الأسباب، ومتابعة سنن الله وقوانينه أولاً، ثم الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه وترك النتائج له ثانياً.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

---

(١) يربطها حتى لا تفلت.

(٢) رواه الترمذي من حديث أنس والطبراني والبيهقي من حديث عمرو ابن أبيه الضمري وأن عمرو نفسه وهو القائل.

وقد رأى عمر ـ رضي الله عنه ـ قوماً، توهموا أن التوكل هو ترك مباشرة الأسباب فأعرضوا عن العمل، وركنوا إلى العجز والكسل، فقال لهم: ما أنتم؟ فقالوا: متوكلون. قال: كذبتم، ما أنتم متوكلون.

إنما التوكل: رجل ألقى حبه في الأرض، ثم توكل على الله [1].

ومثل من ترك العمل راجياً أن يحصل على ما يريد، كمن يريد أن يطير في الجو بلا جناح، أو يريد الولد بلا زواج، أو يريد تحريك الآلات بلا وقود، وإنبات النبات دون تعهد.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

---

(١) رواه الحاكم وابن أبي الدنيا والعسكري والدينوري عن معاوية بن قرة.

أحبوا اللّه لما يغذوكم به

١ ـ أعلى أنواع الحب ومنشؤه:

الحب عاطفة كريمة، وشعور راقٍ نبيل.

وأعلى أنواعه محبة الله.

وإنما تنشأ هذه المحبة، بإثارة القوى العقلية والروحية، وعمق النظر في ملكوت السموات والأرض، وحسن التدبر لآيات القرآن، وكثرة ذكر الله، واستحضار أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

ومتى رسخت هذه المحبة وعمقت جذورها، كان الله هو الغاية، وآثره المرء على كل شيء، وضحى من أجله بكل شيء لأنه يجد من حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، وحسن الصلة بالله ما تصغر، بل تحقر جميع اللذائذ في جانبها.

روى البخاري ومسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ، قال:

«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان:

أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما.

وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله.

وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وهذا من علامة صحة النفس، وسلامة القلب. فإنه لا كمال للإنسان إلا بمعرفة جمال الله وجلاله، واستشعار بره وإحسانه، ورؤية آلائه ونعمائه، وشهود رحمته وحكمته.

ومتى كان ثمة شيء أحب إلى النفس، وآثر لديها من الزلفى إلى الله، وطلب القرب منه، فهي ما زالت مريضة وما زال الإيمان ناقصاً.

يقول الله سبحانه:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (1) [التوبة: ٢٤].

والله سبحانه وتعالى أثبت هذه المحبة للمؤمنين فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (2) [البقرة: ١٦٥].

وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وحبب رسول الله ﷺ في هذا الحب فقال:

---

(1) اقترفتموها: اكتسبتموها وحصلتموها.

(2) أي أن المؤمنين أشدّ حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي» (رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال: حسن غريب).

وكان يضرع إلى الله ويسأله أن يهبه هذا الحب.

فمما حفظ من دعائه:

«أسألك حبَّك، وحبَّ من يحبك، وحبَّ عمل يقربني إلى حبك» (رواه الترمذي بسند صحيح).

٢ ـ الصحابة يحبون الله أكثر من أنفسهم:

وقد أيقظ رسول الله ﷺ هذه الجذوة وأشعلها في قلوب أصحابه فأحبوا الله أكثر من أنفسهم، وآبائهم، وأمهاتهم، ومن الماء البارد على الظمأ، ورضوا أن يبذلوا نفوسهم ومهجهم وهم فرحون مستبشرون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

ولما لم يشهد أنس بن النضر، يوم بدر، شق ذلك عليه وقال:

أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه.

لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ لَيَرَيَنَّ الله عزَّ وجلَّ، ما أصنع.

فشهد مع رسول الله يوم أُحد، فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس:

يا أبا عمرو أين؟؟

واهاً لريح الجنة إني أجده دون أُحد.

ثم قاتل حتى قتل، ووجد في جسده بضع وثمانون: بين ضربة سيف، وطعنة رمح، ورمية سهم ولم تعرفه إلا أخته. عرفته ببنانه.

وفيه وفي أصحابه نزلت هذه الآية الكريمة:

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولما همَّ المسلمون بفتح فارس، وكانت موقعة القادسية في السنة السادسة عشرة، حضرت الخنساء وأوصت بنيها الأربعة فقالت:

«يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين.

والله الذي لا إله إلا هو. إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة ما هجَّنت[1] حسبكم. ولا غيرت نسبكم.

واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا، ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطِيسها، وجالدوا رسيسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

---

(١) تريد: أنها عفيفة طاهرة.

فلما أضاء الصبح، باكروا إلى مراكزهم.

فتقدموا واحداً بعد واحد، ينشدون أراجيز، يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى اسْتُشْهِدوا جميعاً.

فلما بلغها الخبر قالت:

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

ومحبة الله هي التي حملت مصعب بن عمير على ترك ما كان ينعم به من طيب العيش إلى الشظف والحرمان.

قال عمر:

نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير، وعليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال:

«انظروا إلى هذا الرجل الذي نوَّر الله قلبه.

لقد رأيتُه بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون».

٣ ـ مظاهر محبة الله

ومحبة الله تقتضي محبة القرآن الكريم، ومحبة الشريعة السمحة، ومناصرة دين الله الذي لا صلاح للناس إلا به.

يقول الرسول ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

ويقول عثمان ـ رضي الله عنه ـ: «لو سلمت منا القلوب ما شبعت من كلام الله عزَّ وجلَّ. وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

ومن مظاهر حب الله محبة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، إذ إنه حامل الوحي، ومبلغ الرسالة، وقائد الخلق إلى الحق، والهادي إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

«والذي نَفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري).

وروى أيضاً عن عبدالله بن هشام قال:

كنا مع رسول الله ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال:

والله يا رسول الله أنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي.

فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه».

فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إليَّ من نفسي.

فقال رسول الله: **«الآن يا عمر»**[1].

---

(١) يعني الآن تم إيمانك.

وقد قتل أبو امرأة من الأنصار، وأخوها، وزوجها، يوم أُحد فأخبروها بذلك. فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: هو كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظره. فلما رأته قالت:

كل مصيبة بعدك صغيرة.

ولما أخرج أهل مكة، زيد بن الدَّثنة ـ وكانوا قد أسروه ـ ليقتلوه، قال له أبو سفيان:

أنشدك الله [1] يا زيد، أتحب أن محمداً الآن مكانك تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال زيد:

والله ما أحب أن محمداً في مكانه، الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإني لجالس في أهلي!. فقال أبو سفيان:

ما رأيت أحداً من الناس يحب أُحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

ومحبة الصالحين، والتودد إليهم من محبة الله، إذ إنهم أنصاره وجنوده.

فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله».

وعن أبي أمامة أن الرسول ﷺ قال:

---

(١) أي: سألتك به.

«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

وحب الأبرار الأتقياء يبلغ بالمرء أكرم المنازل.

فعن أنس، أن رجلاً سأل النبي ﷺ، متى الساعة؟

قال: **«وما أعددتَ لها؟»**.

قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله.

قال: **«أنت مع من أحببت»**.

قال أنس:

فما فرحنا بشيء فرحَنا بقول النبي ﷺ : **«أنت مع من أحببت»**.

ثم قال:

فأنا أحب النبي، وأبا بكر، وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.

٤ ـ حب الله وحب الأهل والولد:

وهذا الحب الإلهي لا يتنافى مع محبة الزوجة، والولد، والأهل، والعشيرة، ما دامت هذه المحبة تابعة له، وغير مانعة له من النمو والسمو والوصول إلى الكمال.

فمحبة الزوجة الولد والعشيرة فطرية ولصيقة بقلب الإنسان وعاطفته.

وهي محمودة إلا إذا صرفت الإنسان عن المثل الأعلى، وعوقته عن النهوض لخدمة دينه ونفع وطنه.

فحينئذٍ يضحى بها من أجل الوصول إلى المثل الأعلى، وخدمة الدين، ونفع الوطن.

والتضحية على هذا النحو هي أروع أنواع البطولة وأحقها بالإجلال والإكبار.

وهذا هو هدى الإسلام الكريم وأسلوبه الحكيم، إذ إنه لا يغمط الفطرة حقها فهو يقيم العلاقة الزوجية على أساس من المودة المشتركة بين الزوجين، والتي يظهر أثرها في التعاون والتعامل، وفي أسرة كل منهما.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ويجعل الإسلام الولد من رياحين الله:

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول:

«إنكم لتبخِّلون وتجبّنون وتجهِّلون وإنكم لمن ريحان الله» (رواه الترمذي عن خولة بنت حكيم).

أي أن الأولاد يسببون لآبائهم البخل والجبن والجهل بإيثارهم.

وعن عائشة قالت:

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال:

أتقبلون الصبيان. فما نقبلهم؟

فقال النبيﷺ :

«أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة» (رواه البخاري ومسلم).

وهكذا يساير الإسلام الفطر، ويعطي كل ذي حق حقه، ويفتح القلب الإنساني لحب الله الذي لا حياة له به.

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به
شهيداً وإلا فالغرام له أهل

وهذا هو الحب الذي سعد به المحبون، وشغلوا به عن كل ما سواه.

قالت رابعة:

أحبك حبين حب الهوى
وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

إذا أحب اللّه عبداً

١ ـ الظفر بمحبة الله أسمى الغايات:

من أسمى الغايات، وأنبل الأغراض التي يستهدفها المرء في حياته، الظفر بمحبة الله، وتحصيل بره ورضاه.

والله سبحانه إذا أحب إنساناً وفقه للصالحات، وأعانه على السمو إلى أقصى الغايات، وأمده بالنصر الذي يعلي من شأنه، ويرفع من قدره، وحفظه من كل سوءٍ يصيبه، أو أذًى يناله.

٢ ـ الطريق إلى محبة الله:

وللظفر بمحبة الله منهج مرسوم، وطريق معلوم.

وفي طليعة هذا المنهج متابعة رسول الله، وحسن الاقتداء به، والتأسي به في أقواله وأفعاله، والتخلق بأخلاقه وآدابه، فذلك أهدى السبل، وأقرب الطرق، وآية كمال الإيمان وصدق اليقين.

يقول الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

والقيام بشرائع الإسلام وشعائره، والاضطلاع بفرائضه ونوافله، واحتمال أعبائه وتبعاته هي الركائز الأساسية لمن يحاول القرب من الله.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال:

«إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب.

وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه.

وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه.

فإذا أحببتُه...

كنت سمعه الذي يسمع به...

وبصره الذي يبصر به...

ويده التي يبطش بها...

ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني أعطيته، ولَئن استعاذ بي لأعيذنه»[1] (رواه البخاري).

وأحباء الله هم خلفاؤه الذين يتخلقون بأخلاقه، فيعرفون لكل شيء حقه، ويضعون كل أمر موضعه.

فهم سلم ورحمة للمؤمنين..

وهم قسوة وغلظة على الكافرين..

---

(١) معنى آذنته: أعلمته بأني محارب له. وقوله: استعاذني، روي بالياء وروي بالنون.

وهم دائماً متأهبون لإعلاء كلمة الله..

يناصرون الحق لا يبالون أوقعوا على الموت، أو وقع الموت عليهم.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

ونظافة البدن والثوب والقلب والعقل، والسلوك والخلق، توصل إلى الله مباشرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والنجاسة: نجاسة البدن، والثوب، والقلب، والعقل، تحجب عن الله وتقطع الصلة دونه.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

والله نظيف يحب النظافة، قوي يحب الشجاع، سخي يحب الأسخياء، غيور يحب الغيور.

يقول الرسول ﷺ:

«**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أَفْنِيتكُمْ ولا تشبهوا باليهود**» (رواه الترمذي بسندٍ حسن عن سعد).

والاعتراف بنعمة الله وحمده والثناء عليه عمل صالح.

يقول الرسول ﷺ: **«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»** (رواه مسلم عن أنس).

ويقول:

«رأس الشكر الحمد لله».

ويقول:

«إن الله يحب أن يحمد» (رواه الطبراني).

وفي النهوض بالأعمال الكبرى، والفضائل الإنسانية التي يعم خيرها، ويعظم أثرها، ميدان فسيح للمتنافسين في الخيرات.

فالصبر والثبات والمثابرة، والجهاد، والجلاد، والحق، والعدل، والتوكل والتقوى، وغير ذلك من الصفات ـ كل ذلك فيه للتنافس في الخير والبر ـ مجال.

ولنتأمل آيات الله في ذلك:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران: ٧٦].

وفي السنة الكثير من هذه الخلال الطيبة، التي ترقى بالفرد، وتنهض بالجماعة إلى أقصى درجات الكمال، فيقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (رواه أبو يعلى وابن عساكر عن عائشة).

«إن الله يحب إغاثة اللهفان» (رواه أبو يعلى والديلمي عن أنس وابن عساكر عن أبي هريرة).

أي إعانة المكروب ونصرته.

«إن الله يحب الرفق في الأمر كله» (رواه البخاري ومسلم عن عائشة).

أي أن الله يحب لين الجانب في القول والفعل، والأخذ بالأسهل في أمر الدين والدنيا، وفي معاشرة الناس ولاسيما الأقرباء.

«إن الله يحب السهل الطليق» (رواه البيهقي والشيرازي والديلمي عن أبي هريرة).

أي السهل في قوله وفعله.

والطليق: المتهلل الوجه البسام.

«إن الله يحب الشاب التائب» (رواه أبو الشيخ عن أنس بسند ضعيف).

«إن الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله» (رواه أبو نعيم).

«إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» (رواه مسلم عن سعيد ابن أبي وقاص).

«إن الله يحب العبد المؤمن المحترف» (رواه الطبراني والبيهقي بسند ضعيف عن ابن عمر وله شواهد).

«إن الله يحب الملحِّين في الدعاء» (رواه الطبراني والبيهقي عن عائشة).

«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» (رواه البيهقي والطبراني عن ابن عمر).

الرخصة تسهيل الحكم على المكلف بسبب عذر حاصل.

«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» (رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص).

«إن الله يحب من عباده الغيور» (رواه أبو داود الطيالسي عن علي بن أبي طالب).

والغيور: كثير الغيرة.

ومن الغيرة غيرة يحبها الله، وهي ما كان بسبب قيام ريبة.

ومنها مذمومة يكرهها الله وهي ما كانت بسبب سوء الظن دون ريبة.

«إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء» (رواه أبو هريرة وصححه لحاكم).

«إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال» (رواه عن عمران بن الحصين وله شواهد).

«امرأة ولود، أحب إلى الله تعالى من امرأة حسناء لا تلد، إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» (رواه ابن قانع في معجم الصحابة).

«إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سَفسَافَها» (رواه الطبراني عن الحسن بن علي).

«إن الله يحب أن يحمد» (رواه الطبراني).

«إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل» (رواه ابن النجار عن النعمان بن بشير).

«إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس» (رواه البيهقي عن أبي سعيد).

«إن الله جميل يحب الجمال، جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها» (رواه البيهقي عن طلحة بن عبيد الله).

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» (رواه مسلم).

«ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه» (رواه الطبراني وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد).

«إن الله عَفُوٌّ يحب العفو» (رواه ابن عدي عن عبد الله بن جعفر).

«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (رواه البخاري ومسلم).

«وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ والمتباذلين» (رواه مالك عن أبي إدريس الخولاني).

أي الذين يبذلون أنفسهم في مرضاة الله.

بعث رسول الله ﷺ رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله فقال: **«سلوه لأي شيء يصنع ذلك»** فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ:

«أخبروه أن الله يحبه» (رواه البخاري ومسلم).

«إن أحب عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده» (رواه عبد الله ابن الإمام أحمد عن الحسن مرسلاً).

«إن أحب عباد الله إلى الله من حبب إليه المعروف وحبب إليه فِعَالُه» (رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ).

«إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر» (رواه أحمد والترمذي).

«إن أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله، وعبد الرحمن» (رواه مسلم).

«إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون».

«وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون» (رواه الترمذي).

المتفيهقون: المتكبرون.

«أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة» (رواه أحمد).

«أحب الأعمال إلى الله: الصلاة لوقتها، ثم برّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله» (رواه أحمد).

«أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» (رواه الطبراني والبيهقي).

«أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع، أو دفع عنه مغرماً، أو كشف عنه كرباً» (رواه الطبراني).

«أحب الأعمال إلى الله ـ بعد أداء الفرائض ـ **إدخال السرور على المسلم»** (رواه الطبراني).

«أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان» (رواه البيهقي).

«أحب الأعمال إلى الله، الحب في الله والبغض في الله» (رواه أحمد عن أبي ذر).

«أحب الأسماء إلى الله ما تُعبِّد له، وأصدق الأسماء همام وحارث» (رواه الطبراني عن ابن مسعود).

«أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» (رواه أحمد عن جبير).

«أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر» (رواه أحمد عن أبي أمامة).

«أحب الحديث إليَّ أصدقه» (رواه أحمد عن المسور).

«أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت» (رواه أحمد عن سمرة).

«أحب اللهو إلى الله تعالى إجراء الخيل والرمي» (رواه ابن عدي عن ابن عمر).

«أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله» (رواه من مراسيل الحسن).

«أحب العباد إلى الله أحسنهم خلقاً» (رواه الطبراني).

«أحب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم» (رواه البيهقي).

«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد في ما في أيدي الناس يحبك الناس» (رواه الطبراني والبيهقي).

٣ ـ السيئات الصارفة عن محبة الله:

وإذا كانت هذه الخصال تستوجب محبة الله، فإن ثمة خصالاً أخرى هي موضع غضب الله وسخطه، إذ إنها منابع الشر، وجذور الجريمة، وهي التي تلحق بالفرد والجماعة أضراراً بالغة الخطورة، ففي الآيات الكريمة يقول الله سبحانه:

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وفي الأحاديث يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«إن الله يبغض المعبّس في وجوه إخوانه» (رواه الديلمي).

«إن الله يبغض الفاحش والمتفحش» (رواه أحمد).

«إن الله يبغض الوَاسِخَ والشَّعِث» (رواه البيهقي).

«إن الله يبغض البذخين الفرحين» (رواه الديلمي).

«إن الله يبغض الغني الظلوم، والشيخ الجهول، والعائل المختار» (رواه الطبراني).

«إن الله يبغض الطلاق» (رواه الديلمي).

«إن الله يبغض السائل الملحف» (رواه أبو نعيم).

٤ ـ من ثمار محبة الله:

ومن ثمار محبة الله للإنسان، أن يُلقى الله في قلوب الصالحين من عباده محبته، قيل: يا رسول الله إنا نعمل العمل لله ويحبنا الناس فقال:

«تلك عاجل بشرى المؤمن».

ويقول الرسول ﷺ :

«إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال:

إني أحب فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء فيقول:

إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ، ثم يوضع له القبول في الأرض.

وإذا أبغض عبداً، دعا جبريل، فيقول:

إني أبغض فلاناً فأبغضه. فيبغضه جبريل، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله أبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض» (رواه مسلم).

لئن شكرتم لأزيدنكم

معنى الشكر:

١ ـ شكر الله سبحانه يتجلى في شهوده في نعمه، ومعرفته في آلائه، كما يتجلى في حبه، وحمده والثناء عليه.

ولا يتحقق الشكر إلا إذا صرف المرء النعمة التي وهبها الله له فيما ينفع نفسه وينفع غيره من الناس.

فالصحة، والمال، والجاه، كلها نعم من الله، لا تصان إلا بصرفها فيما ينفع، دون أن يبدد الإنسان شيئاً منها فيما لا طائل تحته، ولا فائدة فيه.

كثرة النعم:

٢ ـ ونعم الله المستوجبة للشكر، والجديرة بالثناء والحمد، كثيرة لا حصر لها: فمنها نعمة الوجود، والخلق، والإمداد بوسائل الإدراك والمعرفة، من السمع والبصر والعقل.

يقول الله سبحانه:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

ومنهما نعمة الغذاء، الذي به قوام بدن الإنسان.

يقول الله تعالى:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

ويقول:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

ونعمة الماء، والهواء، والليل، والنهار، كلها من جلائل نعم الله. يقول الله سبحانه:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

ويقول:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

ويقول:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

ولو ذهبنا نتقصى نعم الله الظاهرة والباطنة لطال بنا الحديث، وإن العقل ليعجز عن وصف نعمة من نعمه والإحاطة بها، فضلاً عن الإحاطة بأنعم الله وآلائه كلها.

وصدق الله العظيم.

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

ثمرة الشكر:

٣ - وشكر الله سبحانه نوع من الاعتراف بالجميل، وأداء الحق لمستحقه، وهو آكد الواجبات، لأنه سبحانه هو المفيض بجلائل النعم، وشكره عليها استدامة لها واستزادة منها.

يقول الله تعالى:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ولهذا كان الشكر دافعاً للبلاء، ومانعاً للعذاب، يقول الله سبحانه:

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

والله سبحانه غني عن الناس، فهو لا ينتفع بشكر من شكر، ولا يتضرر بكفر من كفر، وإنما تعود فائدة الشكر ومنفعته على الإنسان الشاكر.

يقول الله تعالى:

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

والشكر يطهر نفس الشاكر، ويقربه من ربه، ويوجهه إلى بذل النعم وإنفاقها في وجوهها النافعة، مما تعود فائدته على الأفراد والجماعات.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: أسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّة[(١)].

فإذا شرجة[(٢)] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله.

فتتبع الماء.

فإذا رجل قائم في حديقته، يحول الماء بمسحاته[(٣)].

---

(١) الحرة: الأرض الصلبة.

(٢) الشرجة: مسيل الماء.

(٣) المسحاة: الفأس.

فقال له: يا عبد الله؟

ما اسمك؟

قال: فلان: للاسم الذي سمع في السحابة.

فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟

فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هنا ماؤه، يقول: أسق حديقة فلان، لاسمك. فما تصنع فيها؟

فقال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها.

فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه» (رواه مسلم).

عاقبة الجحود:

٤ ـ والجحود، ونكران الجميل شر ما يبتلى به الإنسان، فهو يجعل المرء غير مبال بنعم الله، ولا مهتم بما وهبه من أفضال، فيبددها في غير طائل ولا منفعة، فتحول النعمة إلى نقمة، والمنحة إلى محنة، وتذهب الصحة والثروة، وتضيع آلاء الله عبثاً.

ومن ثم كانت عاقبة الجحود والنكران، السوآى والعذاب المدمر.

يقول الله تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

ولقد ذكر الله لنا قصتي سبأ، وأصحاب الجنة، لتكونا مشهداً، معروضاً أمام أنظار الناس فيستخلصوا منهما العبرة، والموعظة الحسنة.

ففي قصة سبأ يقول الله سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن
رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ
قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا
لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٩].

وفي قصة أصحاب الجنة:

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا
مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا
لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا
سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا
إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾
[القلم: ١٧ ـ ٣٢].

وفي قصة الأبرص، والأقرع، والأعمى، التي رواها أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أبلغ الدرس.

فقد روى أبو هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام:

إن ثلاثة من بني إسرائيل.. أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم.. فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟

قال:

لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قَذَرَنِي الناس.

فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطى لوناً حسناً، وجلداً حسناً.

فقال:

فأي المال أحب إليك؟

قال: الإبل ـ أو قال البقر ـ شك من الراوي..

فأعطى ناقة عُشَراء [1].

قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع، فقال:

أي شيء أحب إليك؟

قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس.

---

(١) الناقة العشراء: أي الحامل.

فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعراً حسناً.

قال: فأي المال أحب إليك؟

قال: البقر.

فأعطى بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال:

أي شيء أحب إليك؟

قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر الناس.

فمسحه فرد الله إليه بصره.

قال: فأي المال أحب إليك؟

قال: الغنم.

فأعطى شاة والداً، فَأُنْتِجَ هذان، وولد هذا [١].

فكان لهذا واد من الإبل.

ولهذا واد من البقر.

ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أُتي الأبرص في صورته وهيئته.

فقال له: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري [٢]، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري.

---

(١) أنتج: تولى نتاجها والناتج للناقة كالقابلة للمرأة، ولد: تولى ولادتها.

(٢) انقطعت بي الحبال: أي انقطعت بي الأسباب.

فقال: الحقوق كثيرة.

فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص، يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟

فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر.

فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا.

فقال: إن كنتَ كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته. فقال له: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، وأعطاك المال. شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنتُ أعمى فرد الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك [١] اليوم بشيء أخذته لله عزَّ وجلَّ.

فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك. (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) لا أجهدك: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلب من مالي.

إن تتقوا اللَّه يجعل لكم فرقاناً

١ ـ معنى التقوى:

إذا تمكن الإيمان من القلب، ورسخت جذوره في أعماق النفس، أثمر حالة من الحالات التي تفجر الطاقات الكامنة، والقُوى التي وهبها الله للإنسان، فينبعث إلي الخير انبعاث المحب، وينصرف عن الشر انصراف الكاره، ويكون شأنه كما وصف الله سبحانه:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

وهذه الحالة تسمى بالتقوى.

٢ ـ تضمنها أصول الإسلام:

والتقوى تتضمن أصول الإسلام وقواعد الدين.

يقول الله سبحانه:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٢ ـ ٥].

وتنتظم أعمال البر، يقول الله سبحانه:

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويقول:

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٥].

ويقول:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

والعدل من التقوى، يقول الله سبحانه:

﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

والعفو عن الناس من التقوى، يقول:

﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والوفاء بالعهد من التقوى، يقول الله سبحانه:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦].

وهكذا نجد التقوى في كتاب الله تتناول العقائد، والعبادات، والآداب وسائر الأعمال الصالحة.

وأنه لا يتصف بها إلا من امتحن الله قلوبهم للتقوى، وأعدهم للقيام بمواريث النبوة، وأعباء الرسالة، وهيأهم للعبودية الحقة، والجندية التي لا تخاف في الله لومة لائم.

وهذه المنزلة لا يصل إليها إلا من راض نفسه بترك الشهوات والشبهات، وجاهدها في ذات الله، حتى تذوق حلاوة الإيمان، وطعم اليقين.

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به، حذراً مما به بأس» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

٣ ـ الدعوة إليها:

ولما كانت التقوى جماع كل بر، ومصدر كل خير، وأصل كل صلاح للأفراد والجماعات، كانت خير ما يتزود به الإنسان، يقول الله سبحانه:

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكانت أحسن مظهر يظهر به المرء، يقول الله سبحانه:

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وكان صاحبها أقرب إلى الله منزلة وأعلى شأناً، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكانت هي الوصف الذي اختاره الله لخواص عباده، وكانوا أحقّ بأن يبسط عليهم من بركاته وخيراته، يقول الله سبحانه:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والأتقياء هم الذين يفيض الله عليهم من نوره، فيدركون به الحق، ويبصرون الصواب، ويميزون بين ما يجب فعله من الخير وما يجب تركه من الشر، يقول الله سبحانه:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

ومن ثم لم يكن للشيطان على قلوبهم من سبيل فلا يصابون بحيرة، ولا يتعرضون للشكوك والريب، وإذا أصابهم منها شيء فسرعان ما تبددها أضواء الحق واليقين، يقول الله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وهم أولياء الله وأحباؤه، يكلؤهم برعايته، ويحييهم في عافيته، ويحفظهم من السوء، ويجنبهم أحزان الماضي، وآلام المستقبل.

يقول الله سبحانه:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وهم دائماً موضع نظر الله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٤ ـ لا تقوى إلا بفقه وإرادة:

وتقوى الله سبحانه لا تتم إلا بأمرين:

أولاً: فقه في دين الله، ومعرفة ما فيه من سمو وحكمة.

ثانياً: قوة الإرادة، ومضاء العزيمة، لحمل النفس على الاضطلاع بالتبعات والتكاليف.

فبالمعرفة من جانب، والإرادة القوية من جانب آخر، يستطيع المرء أن يبصر الطريق، ويسير على الجادة، دون تعثر أو انحراف.

وقد أشار القرآن إلى هذين الأمرين في معرض الثناء على بعض الأنبياء، فقال:

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص: ٤٥].

فأولو الأيدي: أصحاب القوة.

وهم كذلك أصحاب فقه في الدين وبصر به.

إنما يخشى الله من عباده العلماء

١ ـ دعوة الإسلام إلى الخوف من الله:

دعا الإسلام إلى الخوف من الله، وأثنى على الخائفين.

يقول الله سبحانه:

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

ويقول: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ويقول: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ويقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

[قلت: يا رسول الله: قول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٠].

أهو الذي يزني، ويشرب الخمر، ويسرق؟

قال: لا يا ابنة الصديق.

ولكنه الرجل يصوم، ويصلي، ويتصدق، ويخاف أن لا يقبلَ منه].

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

إني أرى ما لا تروْن.

أَطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط[(١)].

ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى.

والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

وما تلذذتم بالنساء على الْفُرُش.

ولخرجتم إلى الصُّعُدَات[(٢)] تجأرون إلى الله تعالى (رواه الترمذي وحسنه).

---

(١) الأطيط: صوت الرحل ونحوه أي أن كثرة من في السماء من الملائكة قد أثقلتها حتى أطت.

(٢) الصعدات: الطرقات.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

«من خاف أدلج ومن أدلج[1]، بلغ المنزل.

ألا إن سلعة الله غالية.

«ألا إن سلعة الله الجنة» (رواه الترمذي بسند حسن).

وروى الترمذي بسند حسن، عن أبي أمامة الباهلي: أن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تُهْرَاق في سبيل الله.

وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله».

٢ ـ باعث الخوف:

والخوف إما أن يكون خوفاً من معرفة جلال الله، واستشعار عظمته وكبريائه وهو خوف العارفين.

وكلما كانت المعرفة أتم، كان الإنسان أشد لله خوفاً، وأعظم خشية.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«إني لأعْلَمُكم بالله وأشدكم له خشية».

---

(١) الإدلاج: السير ليلاً، والمراد: الجد في الطاعة.

وفي رواية: خوفاً.

وكان يصلي، ولقلبه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[1].

وإما أن يكون سببه ما اقترفه الإنسان من آثام، وارتكب من سيئات، فهو يخشى أن يؤاخذه الله بما اكتسبه منها.

٣ ـ آثاره:

وإنما رغَّب الإسلام في الخوف من الله، ودعا إليه؛ لما له من آثار طيبة، وثمار حسنة في حياة الفرد والجماعة.

فهو يبعث في الإنسان روح الشجاعة، ويدفعه إلى الجهر بالحق، وإنكار المنكر، دون تهيب من أحد، أو خوف من مخلوق.

وهذا من أعظم الفضائل وأكرم الغايات.

وما دام هناك في الأمة من يجهر بالحق، ويدعو إليه، ويعمل على نشره، فإن الباطل سوف يتوارى كما تتوارى ظلمات الليل عند طلوع الفجر الصادق.

وهذه إحدى السمات التي يتميز بها أنصار الله وحملة رسالته، وإلى هذا تشير الآية الكريمة.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

والخائفون من الله، هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

---

(١) الأزيز: صوت البكاء.

يقول الله سبحانه:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ [الأعلى: ٩، ١٠].

ويقول:

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨].

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ١١].

ومن آثار الخوف من الله كذلك، أنه يمنع الإنسان من الاسترسال في المعاصي والآثام، ويجنبه الوقوع في الفسوق، ويحجزه عن محارم الله.

فإن الإنسان إذا خاف من الله: كف لسانه عن الْهُجْر والكذب، والغيبة والنميمة، والسخرية، والهمز، واللمز،.. وامتنعت العين عن النظرة الخائنة، وطهر القلب من الغلّ والحسد، والفسق والكبر، والرياء والنفاق، وسائر الصفات الذميمة، التي يبغضها الله ويمقتها الإسلام.

ولولا الخوف من الله لاندفع الإنسان إلى الشر، وانكب على اللذائذ غير مراعٍ مصلحة غيره، ولا مقيم لها أي وزن.

٤ ـ عدم كفاية القوانين:

وقد يقال: إن القوانين يمكن أن تحل محل الخوف من الله.

والحق... أن القوانين ـ مهما كانت صارمة ـ فإنها لا تنفع كما ينفع الخوف والخشية من الله ـ فإن الخوف يخلق الضمير الحي، الذي يصحب الإنسان في الخلوة وفي الجلوة. وفي كل حال...

بينما القوانين لا تراعَى إلا حيث يخاف الإنسان من الوقوع في قبضة السلطة القائمة على تنفيذ القانون.

فإذا وجدت فرصة، أمن فيها المرء على نفسه، هتك حرمة القانون، وخرج عليه دون مبالاة.

وإن ما تعانيه الإنسانية، من نضوب معين الفضائل، وفساد الضمائر، وانتشار الجرائم، والاستهتار بالقيم؛ إنما سببه الغفلة عن خوف الله، وعدم استحضار عظمته في القلب.

ولهذا كثر في القرآن الدعوة إلى الخوف من الله، ليستيقظ الضمير، ويصمد، وفي يقظة الضمير نجاة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

ولا تقتصر ثمار الخوف من الله وخشيته على هذا، بل يدفع الخوف إلى السلوك الإيجابي الذي يسمو بالنفس إلى كل خير.

ولهذا سجل الله المغفرة للخائفين؟ وجعل لهم الأجر الكبير، فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨].

٥ ـ الخوف من الناس:

وإذا كان الخوف من الله ممدوحاً، فلما له من هذه النتائج الحسنة والثمار اليانعة.

أما الخوف من الناس، فإنه مما يذمه الإسلام ويحظره؛ لأن من شأنه أن يمنع الإنسان من الجهر بالحق، ويحول بينه وبين أن يغير المنكر، ويجعل من الفرد إنساناً متملقاً تافهاً، لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره.

ولولا شجاعة الدعاة، وجرأة المصلحين، وثباتهم إزاء ما يلقونه من أذى واضطهاد ـ لما قام للحق قائمة، ولما تطورت الحياة، ولما وصلت الإنسانية إلى ما وصلت إليه من تقدم ورقي.

٦ ـ علاج الجبن:

عالج الإسلام هذه الناحية ـ ناحية الخوف من الناس ـ في نفس الإنسان، ليخلصه من الجبن والضعف، ويجعل منه شخصية قوية ـ لا تضعف أمام الناس ولا تنثني إزاء الصعاب، فبين له أن الناس بَشَرٌ مثله. لا يملكون الحياة لأنها منحة من الله. وهو يسلبها إذا شاء، وحين يحل الأجل الموقوت.

يقول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فأي نفس لا يأتيها الموت إلا بمشيئة الله وقدره ـ فالإقدام لا ينقص العمر، والإحجام لا يزيده...

وقد فطن الشاعر إلى هذا المعنى وهو يقول:

أَيَّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أفِرُّ
يَوْمَ لاَ قُدِّرَ أَوْ يَوْمَ قُدِرْ
يَوْم لاَ قُدِّرَ لاَ أَرْهَبُهُ
وَمِنَ الْمَقْدُورِ لاَ يَنْجُو الْحَذِرَ

ويقول الآخر:

تقدمت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة غير أن أتقدما

وكما أن الحياة بيد الله، فإن الرزق كذلك بيده..

فالله هو الرزاق ذو القوة المتين.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وهو سبحانه ضمن لكل دابة ما يحفظ وجودها إلى الأجل المقدور.

فلم إذن يخاف الإنسان من الناس؟ وهم بشر مثله، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة.

ولهذا يقول الله سبحانه:

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وأثنى سبحانه على الأقوياء الشجعان، الذين لم يبالوا بتهديد الناس. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة، في أصحاب رسول الله ﷺ ـ وقد قيل لهم: إنَّ المُشْرِكين قد اجتمعوا لحربكم، واستئصال شأفتكم فلم يزدهم هذا التهديد إلا إيماناً، وثباتاً، وشجاعة. وقالوا: حسبنا الله وهو كافينا، ونعم الوكيل في الدفاع عنا.

لا تقنطوا من رحمة اللّه

للإسلام منهج واضح، وسبيل معلوم.

وهذا المنهج يتمثل في إدراك الحق، وفعل الخير، وذلك كفيل بأن يصل بالإنسان إلى الذروة والرفعة، ويجعله جديراً بالخلافة عن الله في الأرض.

إلا أن الإنسان كثيراً ما يضل عن الطريق المرسوم، وينحرف عنه.

إما بسبب الجهالة، أو بتأثير البيئة، أو تحت ضغط شهوة جامحة، أو استجابة لإغراء عابث.

وهذا الانحراف يهبط بالمستوى الإنساني، ويحول بينه وبين التطهر والتسامي فتسقط قيمته، ويرذل قدْره، وينحط إلى الدرك الذي يعوقه عن النهوض بتبعات الحق والخير.

وحين يصل المرء إلى هذا المستوى، لا تكون له رسالة سامية، ولا هدف كريم، ولا مثل أعلى.

وإنما تتجه جميع قواه إلى تحقيق ذاتيته، وإشباع غرائزه، وإيثار مصالحه الخاصة، وتنكره للمصالح العامة.

ويوم أن تخلو الدنيا من الضمائر والمثل العليا، تتحول الحياة إلى صراع يكون أشد هولاً، وأبعد أثراً من صراع الحيوانات المفترسة.

ومن ثم: فإن الإسلام يدعو أبداً إلى الاستمساك بالحق، والتشبث بعراه، حتى لا يخطىء الإنسان الهدف، أو يضل الطريق. يقول الله سبحانه:

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

وقد يحدث أن يضعف الإنسان ساعة يغفو فيها ضميره، وتنام فيها قواه الروحية بينما تكون غرائزه مشبوبة الأوار، فيعمى عن هدفه، ويسقط صريع الهوى والشهوة.

وفي خلال هذه المحنة يقال له:

لا عليك...

فإنك لم تخلق ملكاً مطهراً، ولا بشراً معصوماً، وإنما أنت إنسان تتنازعك قوى الخير والشر، وتتغلب عليك طبيعتك الروحية أحياناً فتسمو وترتفع، وأحياناً أخرى تتغلب عليك شهوات الجسد فَتُخْلد إلى الأرض، وترد إلى أسفل سافلين.

وإنما عليك أن تصحح أخطاءك إذا أخطأت، وتعالج أمراضك إذا مرضت، وتغسل نفسك مما يكون قد ران عليها، وتستأنف السير من جديد.

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«كل ابن آدم خَطَّاءٌ، وخير الخطائين التوابون» (رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أنس).

ويقول ﷺ :

«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم والنسائي عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ).

وبهذا تقل الأخطاء، وتعود للضمير قوته، وللقلب سلامته، فتنتصر قوى الروح على نوازع المادة في نفس الإنسان.

والله سبحانه، يعلم طبيعة الضعف الإنساني، فلم يكلفه العصمة، لأن التكليف بها تكليف بما لا يطاق ـ قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإنما كلفه أن يَفِرَّ إليه كلما فَرَّ منه، وأن يتطهر من الدنس كلما تورط في الإثم، وآدم عليه السلام أبو البشر، هو القدوة والمثل: قال تعالى في حقه:

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

ثم قال:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

وهذه هي الكلمات التي تلقاها منه:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومما حفظ من كلمات الرسول ﷺ:

«إن تغفر اللهم تغفر جَمًّا... وأيُّ عَبْدٍ لك لا ألَمَّا».

وكثيراً ما يفتح الإسلام باب الأمل والرجاء، ويدعو العُصَاة إلى التوبة والاستغفار، وأنه سبحانه يغفر لهم ما دعوه ورجوه، مهما عَظُمَ الْجُرْمُ، وكَبُرَ الإثم. قال تعالى:

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالِي يا بن آدَمَ لو بَلغَتْ ذنوبك عَنَان[1] السماء: ثم استغفرتني. غفرت لك ولا أُبالِي...**

يا بن آدم لو أتيتني بِقُرَاب[2] الأرض خطايا[3] ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفِرةً» (رواه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح).

(١) عنان السماء: السحاب.
(٢) قراب الأرض: ملء الأرض.
(٣) خطايا: جمع خطيئة.

وقال ﷺ:

«إن الله يَقْبَلُ توبة العبد ما لم يُغَرْغِر أي يحتضر».

والتوبة لا تحتاج إلى اعتراف كما في المسيحية، ولا إلى شيخ، ولا إلى الذهاب إلى أي مكان، وإنما هي يقظة نفسية، واستشعار بالانحراف عن المنهج السوي، ومحاولة العودة إليه، والثبات عليه.

ومهما تيقظ الضمير، وفطنت النفس إلى ما يجب أن تكون عليه، وحاولت إصلاح الخطأ الذي وقعت فيه، كان ذلك توبة يفرح الله بها، ويغفر الذنب من أجلها. يقول الله سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

فالآية تقرر: أن الله سبحانه يغفر للذين يقترفون ما تعاظم قبحه، أو يظلمون أنفسهم بفعل ما ينقصها مما يتنافى مع سموها - إذا ذكروا الله، وذكروا أنهم ما قدروه حق قدره إذ قصروا في حقه، وفرطوا في جنبه، فمسهم الألم اللاذع، والحزن العميق، فَهُرِعوا إلى الإنابة والاستغفار، ورجعوا إلى إصلاح أخطائهم من قريب، فذلك دليل صحة النفس، وحياة القلب والضمير.

أما الإصرار على الإثم، والتمادي فيه، فهو مظهر الفراغ الروحي، والموت الأدبي، للذين يرتكبون كبائر الإثم والفواحش، وهم لهذا قلما يشعرون بالألم الباعث على الندم. وما لجرح بميت إيلام.

ولهذا كان الإصرار من صفات الكافرين يقول الله في سورة الواقعة:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦﴾ [الواقعة: ٤٥، ٤٦].

وقد شرط الله سبحانه في قبول التوبة أن تكون من قريب، وهو مثل شرط عدم الإصرار. فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ(١) ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ(٢) فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

والمبادرة إلى العمل الصالح، وفعل الحسنات تمحو السيئات كما يمحو ضوء الشمس ظلام الليل.

وإذا اقترن العمل بعمق الإخلاص، وقوة اليقين، كان أزكى للنفس، وأنقى وأطهر وكانت المغفرة ماحقة للذنوب جميعاً. ومن ثم كانت التوبة دائماً مقترنة بالعمل الطيب.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾(٣) [الأنعام: ٥٤].

---

(١) الجهالة: الطيش والسفه.

(٢) أي بعد مباشرة الذنب.

(٣) أي أوجب على نفسه رحمة منه وتفضلاً أن من عمل ذنباً من غير تعقل ولا روية ولا إصرار ثم سارع إلى التوبة والندم وأصلح أعماله فإن الله يغفر له لأنه غفور رحيم.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا[1] فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧١].

وقد روى ابن مسعود أن رجلاً من الصحابة أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره فأنزل الله تعالى:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ[2] ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا[3] مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

فقال الرجل:

أَلِيَ هذا يا رَسُولَ الله؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**» (رواه البخاري ومسلم).

---

(١) أي أن الله يمحو سيئاتهم التي فعلوها بالتوبة ويوفقهم للأعمال الصالحة التي يكافئهم الله عليها بالحسنات التي تحل محل السيئات الممحوة.

(٢) طرفي النهار: صلاة الصبح والعصر.

(٣) والزلف: الساعات من الليل.

وعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال:

«من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام يصلي ركعتين، أو أربعاً، مكتوبة أو غير مكتوبة، يحسن فيهن الركوع والسجود، ثم استغفر الله غفر الله له» (رواه الطبراني في الكبير بسند حسن).

وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر له»** ثم قرأ هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً . . .﴾ الآية.

وتسمى هذه الصلاة صلاة التوبة.

والأعمال الصالحة المكفرة للذنوب كثيرة، نذكر منها بعض النماذج على سبيل المثال.

فمنها الوضوء:

١ ـ عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال:

رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال:

«من توضأ هكذا، غُفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة» (رواه مسلم).

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، فإذا غسل يديه خرج كل

خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب» (رواه مسلم).

ومنها الصلاة:

١ ـ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟»

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: **«إسباغ الوضوء على المكاره[١] وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**[٢] (رواه البخاري ومسلم).

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دَرَنِه شيء؟»

قالوا: لا يبقى من درنه شيء.

قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»** (رواه البخاري).

---

(١) إسباغ الوضوء على المكاره معناه إتمام غسل الأعضاء في البرد الشديد.

(٢) الرباط: الإقامة في النفور لمقاومة الأعداء، أي أن ثواب انتظار الصلاة يعدل ثواب المرابطة في سبيل الله.

٣ ـ وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما من امرئٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» (رواه مسلم).

٤ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه، ما لم يحْدِث.

تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة» (رواه البخاري ومسلم).

ومنها صلاة الجمعة:

عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» (رواه البخاري).

ومنها ختم الصلاة:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«من سبح الله ـ في دُبُرِ كل صلاة ـ ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (رواه مُسْلِمٌ)

ومنها الحج والعمرة:

١ ـ قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أُمه» (رواه البخاري ومسلم).

٢ ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال:

«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة» (رواه البخاري).

ومنها الجهاد:

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعب فيه عيينة من ماء عذبة، فأعجبته، فقال:

لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال:

لا تفعل.

فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً.

ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟

اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواق[1] ناقة وجبت له الجنة» (رواه الترمذي وقال حديث حسن).

٢ ـ وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قام فيهم خطيباً فذكر: أن الجهاد في سبيل الله، أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟

فقال له رسول الله ﷺ:

«نَعَمْ. إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر» (رواه مسلم).

ثم قال رسول الله ﷺ:

«كيف قلت؟» قال: أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ:

«نَعَمْ وأنت صابر محتسب. مقبل غير مدبر، إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال: لي ذلك».

---

(١) الفواق: المدة من الزمن التي تكون بين الحلبتين أو مدة الحلب نفسه.

ومنها حسن الخلق:

والسماحة، وبشاشة الوجه، والصفح عن الإساءة، كل ذلك مكفر للذنوب.

١ ـ يقول الرسول ﷺ:

«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا» (رواه أبو داود).

٢ ـ وقال...

«رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» (رواه البخاري).

٣ ـ وقال ﷺ:

«تلقت الملائكة رُوح رجل ممن كان قبلكم فقالوا له:

أعملت من الخير شيئاً؟ قال: كنت أُنظِر الموسر[1]، وأتجاوز عن المعسر فتجاوز الله عنه» (رواه البخاري).

٤ ـ ويقول سبحانه:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وغفران الله يحيط بالمذنب الدنس، إذا تفجر في قلبه نبع البر والرحمة.

---

(١) أنظر الموسر، أرجئه إلى ميسرة.

٥ ـ يقول الرسول ﷺ:

«بينما كلب يطيف بركيَّة [1] قد كاد يقتله العطش إذ رأته بِغَيّ [2] من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقَها [3] فاستقت له به، فسقته، فغفر لها به».

ومنها للآلام:

فكل ما يصيب المسلم من ألم، فهو مطهر له من السيئات.
يقول الرسول ﷺ:

١ ـ **«ما يصيب المسلم من نَصَب [4]. ولا وَصَب [5] ولا همٍّ. ولا حزن. ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يشاكُها، إلا كفر الله بها من خطاياه».**

ويقول ﷺ:

٢ ـ **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»** (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

---

(١) يطيف بركية: يدور ببئر.
(٢) بغي: زانية.
(٣) الموق: الحذاء.
(٤) النصب: التعب.
(٥) الوصب: المرض.

كفارة المجلس:

والإنسان مهما لغط في مجلسه، وخلط في حديثه، وقال ما لا فائدة فيه ولا طائل تحته، ثم ختم كلامه بذكر الله، كان ذلك كفارة للغو.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه. فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إلا إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» (رواه الترمذي. وقال: حديث حسن).

ملازمة الاستغفار:

واستغفار[1] الله سبحانه، يعجل بالخلاص، ذلك أنه يقصد به التوبة النصوح، يقول الرسول ﷺ:

«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مَخْرجاً. وفي كل همٍّ فرجاً. ورزقه من حيث لا يحتسب» (رواه أبو داود).

وهذا كقول الله سبحانه:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

(١) الاستغفار: طلب المغفرة من الله على ما اقترفه من إثم، أو قصر فيه من عمل.

وقــولــه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

وروى [أن الله جعل لهذه الأمة أمانين: وجود الرسول ﷺ، والاستغفار. فذهب أمان، وبقي أمان].

ويقول الله سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

فالاستغفار من أسباب رفع البلاء، كما أن حسن التمتع بالدنيا أثر من آثاره.

وسبب ذلك أن الاستغفار يدفع الشر عن الإنسان، وبقدر ما يندفع عنه الشر، يكثر الخير في نفسه ويزداد.

ولهذا كان الرسول ﷺ يقول:

«يا أيها الناس توبوا إلى الله، واستغفروه، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة».

وكان ﷺ يعلم أصحابه سيد الاستغفار، وهو:

«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

ثم يقول الرسول عليه الصلاة والسلام، فيما يرويه عنه البخاري:

«من قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه، قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل، وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة!!».

ومنها التسبيح والتحميد:

ومن أسباب الغفران، هذا الذكر الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال:

«من قال سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر».

ومنها اجتناب الكبائر:

وليست الأعمال الصالحة المزكية للنفس وحدها هي التي تمحو السيئات، بل إن اجتناب كبائر الإثم يكفر الصغائر، ويذهب بها. ولا يشترط لذلك توبة.

يقول الله سبحانه:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

والكبائر: هي الذنوب، التي جعل الله عقوبتها حَدًّا، أو توعَّد عليها بالنار، أو لعن فاعلها، أو سماها الشرع كبيرة.

وهي لا تغفر إلا بالتوبة النصوح، التي أمر الله بها في قوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

والتوبة النصوح: تنتظم الألم والنَدَمَ على ما مضى، والإقلاع عن الذنب في الحاضر، والعزم الأكيد على استئناف حياة صالحة فيما يستقبل من الزمان، فإن كان ثمة حقوق للعباد وجب ردها إلى أصحابها، أو استحلالهم منها إن أمكن. وهذه التوبة هي التي يقبلها الله سبحانه ويفرح بها.

يقول الله سبحانه:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

وفي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ الذي رواه البخاري ومسلم. أنه ﷺ قال:

«لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أحَدكم سَقَطَ على بَعيرِه وقد أضلّهُ[1] بأرض فلاة».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: فيما يحكيه عن ربه تبارك وتعالى:

«أَذْنَبَ عَبْدٌ ذنْباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي.

فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب.

ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب.

---

(١) سقط على بعيره وقد أضله: أي وجد بعيره بعد أن فقده في صحراء.

ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي.

فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. قد غفرت لعبدي. فليفعل ما شاء» (رواه البخاري ومسلم).

ومنها حسن الظن بالله:

على أن حسن الظن بالله، مما يجمل أن يتصف به كل مسلم.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ فيما يرويه النبيﷺ عن ربه عزَّ وجَلَّ:

«أنا عند ظن عبدي بي».

أي أن الله يعامل الإنسان حسب ظنه به. فإن ظن أن الله سيعفو عنه، فإن الله سيحقق له العفو. وإن ظن أن الله سيكون له في أمر من أموره، فلن يتخلى عنه.

وروى أبو داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال:

«حُسْنُ الظن من حسن العبادة».

لأنه ظن بربه ما هو أهْلٌ له من الخير.

(هُوَ أَهْلُ التَّقْوى. وَأَهْلُ الْمَغْفِرَة).

وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال:

قَدِمَ على رسول الله ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأة من السبي [1] تبحث عن صَبِيِّها، وكان ضائعاً، فلما وجدته أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته: فقال لنا رسول الله ﷺ:

«أتَرَونَ هذه طارِحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا والله. وهي تقدر ألا تطرحه، فقال: «للَّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها..».

ومع ذلك فينبغي أن يأخذ الإنسان بالأسباب الموصلة إلى النجاة والخلاص، ولا يقف عند مجرد إحسان الظن بالله.

فقد روى البخاري في التاريخ: أن رسول الله ﷺ قال:

«ليس الإيمان بالتمني. ولكن ما وَقَر [2] في القلب وَصَدَّقَهُ العَمل. وإنّ قوماً غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكَذَبُوا. لو أحسنوا الظن لأحْسَنُوا العمل».

عفو الله:

ثم يبقى بعد ذلك ستر الله الواسع، وعفوه العظيم.

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يُدْنَى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كَنَفَهُ [3] فيقرره بذنوبه ـ فيقول: أتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ ـ أتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: ربّ

---

(١) الأسرى من الرجال والنساء.

(٢) وقر: استقر.

(٣) كنفه: ستره ورحمته.

أعرف ـ قال تعالى: فإني قد سترتها عليك في الدنيا ـ وأنا أغفرها لك اليوم ـ فيعطى صحيفةَ حسناتِه».

ولكن يشترط لذلك أن يستر الإنسان نفسه في الدنيا ـ فلا يجهر بما يفعل من سيئات، فإن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى. . لأن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول أو الفعل.

روى الحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«اجتنبوا هذه القاذورات، التي نهى الله عنها. فمن أَلَمَّ بشيء منها، فَلْيَسْتَتر بِسِتْرِ الله».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«كل أمتي معافى إلا المجاهرين ـ وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عَمَلاً ثم يصبح، وقد ستره الله تعالى عليه ـ فيقول:

يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِح يَكْشِفُ سِتْر اللَّهِ عليه»[1].

دعاء الملائكة:

والله سبحانه لسعة مغفرته، ولحبه لعباده، يلهم ملائكته أن

---

(١) ويباح له أن يخبر بمعصيته إذا كانت هناك مصلحة. كأن يخبر من يعينه على الخلاص من معصيته، أو يعلمه ما يسلم به من الوقوع في مثلها.

يضرعوا إليه بالدعاء، ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء، وعلمه الذي وسع كل شيء، أن يغفر للتائبين ويدخلهم في عباده الصالحين.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧].

والمغفرة هي غاية الغايات.

ومن أجل هذا، كانت النعمة التي اقترنت بجلائل النعم، التي أفاضها الله على رسوله.

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾ [الفتح: ١، ٢].

وكانت هي الدعاء الذي يهتف به المؤمنون، والهدف الذي ينشدونه في كل حين.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۝١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

ومن أبلغ ما قيل في هذا المقام قول ذلك العبد الصالح:

«إن استغفاري مع إصراري للؤم...

وإن ترك استغفاري مع علمي بسعة عفوك لعجز..

فكم تتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني..

وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك...

يا من إذا وعد وَفَّى...

وإذا توعد عفى...

أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك. يا أرحم الراحمين».

وقال أبو العتاهية:

إلــهــي لا تــعــذبــنــي فــإنــي
مــقــر بــالــذي قــد كــان مــنــي

فــمــا لــي يــحــلــة إلا رجــائــي
لــعــفــوك إن عــفــوتَ وحــســنُ ظــنــي

وكــم مــن زلَــة لــي فــي الــخــطــايــا
وأنــت عَــلَــيَّ ذو فــضــل ومَــنّ

إذا فــكــرت فــي نــدمــي عــلــيــهــا
عــضــضــتُ أنــامــلــي وقَــرَعْــت سِــنــيّ

أُجَــنّ بــزهــرة الــدنــيــا جــنــونــاً
وأقــطــع طــول عــمــري بــالــتــمــنــي

ولــو أنــي صــدقــت الــزهــد عــنــهــا
قــلــبتُ لأهــلــهــا ظــهــر الْــمِــجَــنّ

يــظــن الــنــاس بــي خــيــراً وإنــي
لــشــر الــخــلــق إن لــم تــعــف عــنــي

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال:

وَاذُنُوبَاه.. واذنوباه...

فقال الرسول ﷺ : «قُلْ

اللهم مغفرتُك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي».

فقالها..

ثم قال: «عد». فعاد.

ثم قال: «عد». فعاد.

ثم قال: «قم. فقد غفر الله لك».

لا إله إلا أنا فاعبدون

١ ـ معنى العبادة وأثرها:

العبادة معناها: طاعة الله، والخضوع له، والتزام ما شرعه من الدين.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

والعبادة بهذا المعنى تجعل الإنسان لا يخضع إلا للحق الذي أوحاه الله، وتجنبه الظنون والأوهام والأباطيل، وتحول بينه وبين الخضوع لسيطرة رجال الدين، وتفتح أمامه الطريق ليتصل مباشرة بالله.

وهي في الوقت نفسه تذكير بالله، والتذكير بالله يعمر القلب بعظمته، وإذا عمر القلب بمعرفة الله وعظمته، وجه قوى النفس إلى البر والخير، وكفها عن الإثم والشر. ومن ثم كانت العبادة ركناً أساسياً في بناء الشخصية المتكاملة التي يريدها الله، وكانت قياماً للمجتمع الصالح، وكانت هي غاية الحياة.

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

٢ ـ مسؤولية الإنسان عنها:

ولأجل أن يصل الإنسان إلى هذه الغاية، زوده الله بالعقل والاختيار، وأمده بالوحي، وجعله بهذا أهلاً لحمل مسؤولية العبادة، ليقطع عذره، ويقيم عليه الحجة.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٤].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

٣ ـ العبادة حق الله:

ومع ما للعبادة من آثار. فهي حق من حقوق الله سبحانه، فإن من عرف الله عرف استحقاقه للحب، والتعظيم والحمد، والثناء، والشكر.

لأنه هو الذي وهب الإنسان الحياة، وأمده بما يحفظها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

وعن معاذ بن جبل قال: كنت رِدف [١] النبي ﷺ فقال: **«يا مُعاذ، أتدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟**

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عزَّ وجلَّ أن لا يعذِّب من لا يشرك به شيئاً» (رواه البخاري ومسلم والترمذي).

وهذا الحق باقٍ ما بقي في الإنسان نَفَسٌ يتردد.

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [٢].

وإذا كانت العبادات جزءًا مُكمِّلاً للشخصية فإن ذلك يتجلى فيما نذكره من بعض حكم العبادات العملية، وأسرارها النفسية، والخلقية، والاجتماعية، كما جاء ذلك في الكتاب السنة.

٤ ـ حكم الصلاة وأسرارها:

الحكم النفسية:

وبتتبع النصوص الواردة في الكتاب والسنة، يمكن معرفة حِكَم الصلاة النفسية.

---

(١) ردف: راكباً خلفه.

(٢) اليقين: الموت.

يقول الرسول ﷺ:

«إذا قام أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه».

والمناجاة: مخاطبة الله مباشرة، وهي تشعر المرء بوجود الله وجوداً حقيقياً، وأنه قريب منه، يسمع دعاءه، ويلبي نداءه، ويستجيب له.

وإذا واظب المصلي على هذه المناجاة، خمس مرات في اليوم والليلة، تيقظت قواه الروحية، وأحس بأن الله يمده بالقوة، والعون. وأنه سبحانه معه لا يتخلى عنه، فتقوى عزيمته، وتشتد إرادته، ويمضي إلى غايته دون تردد أو ضعف مهما اعترضته الصعاب، أو واجهته العقبات.

وإذا ظفر بمطلوبه ويبلغ الذروة من الفوز والنجاح، فإن ذلك لا يزدهيه، ولا يداخله الغرور. ولو قدر أنه لم يبلغ ما يريد، فإنه لا يحزن، ولا ييأس، بل يعيد المحاولة من جديد، واثقاً بالله، ومتوكلاً عليه.

هذا من جانب...

ومن جانب آخر فإن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر، والدعاء، والضراعة، والخضوع لكبريائه وعظمته.

وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة فتتجدد قواها، ويحفزها ذلك إلى العمل الجاد والأمل في وجه الله الكريم.

ولقد كان الرسول ﷺ يدعو بلالاً ليؤذن بالصلاة حين يشتد عليه الأمر ويقول:

«أرحنا بالصلاة يا بلال».

وكان يقول:

«وجعلت قرة عيني في الصلاة».

آثارها الخلقية:

والإنسان لا يصل إلى القرب من الله، ولا يسعد برضاه إلا إذا تطهر من الرذائل وسائر الصفات السيئة.

يقول الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

والصلاة هي الوسيلة لهذا التطهير.

لأن المواظبة عليها تربي في المصلى الضمير الحي، الذي يبعث على الخير، ويحض عليه، ويمنع الشر، ويحذر منه.

لهذا نجد الآية الكريمة تقول:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وبالإضافة إلى هذا، فإن الصلاة تغرس في النفس فضيلتي الثبات والكرم وهما من أكرم الخصام، وأشرف الخلال. فإذا أصاب المصلى ما يكره لا يستبد به الجزع والهلع.

وإذا أفاض الله عليه بالنعم والآلاء، لا يستأثر بها، بل يشرك معه فيها غيره وإلى هذا تشير الآية:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

آثارها الاجتماعية:

وإذا كانت الصلاة تكسب المرء سكينة النفس، وتطبعه بطابع خلقي جميل.

فإن هذه الصفات تجعل المقيم لها رضى النفس، حسن الخلق، عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه، وتخلق منه خلية حية تعمل وتنتج ويعم خيرها الناس.

ثم إن الإسلام حبب في صلاة الجماعة، وأوجب صلاة الجمعة كل أسبوع.

واجتماع أهل الحي في اليوم خمس مرات مع اجتماعهم يوم الجمعة اجتماعاً أوسع مدى ـ يقوي الروابط الاجتماعية، ويشد أواصر الصِّلات بين الجماعة، ويشعر كل واحد بأنه أخ لكل من في المسجد، وأنه مساوٍ له، فتنمو روح المساواة الحقيقية. لا فرق بين غني وفقير. ولا بين عظيم وحقير. فكلهم عباد الله، اجتمعوا في بيته تظللهم ظلال المحبة والأخوة في الله.

وبهذه الممارسة العملية للمساواة، تنتفي فوارق اللون، وفوارق

الثراء، وفوارق الدم، فيشعر الفرد شعوراً حقيقياً بأنه للجماعة، وتشعر الجماعة بأنها للفرد.

وهذه الغاية هي أسمى الغايات، التي يجهد العلماء، والحكماء، والمربون والفلاسفة أنفسهم في تحقيقها، ليعم البشرية الأمن والسلام.

ويلاحظ أن هذه الحكم لا يمكن أن تتحقق، إلا إذا أقبل المصلي على صلاته بوعي كامل ـ ويقظة تامة ـ وتأمل حقيقي في أقوال الصلاة وأفعالها.

وهذا هو المعبر عنه بالخشوع في قول الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فإذا تجردت الصلاة من هذا الوعي، كانت قليلة الثمرة، بل عديمة الجدوى ولنصغ إلى هذا الحديث القدسي، الذي يرويه النبيﷺ عن ربه:

«إنما أتقبل الصلاة..

ممن تواضع بها لعظمتي..

ولم يستطل بها على خلقي..

ولم يَبِت مصرًّا على معصيتي..

وقطع النهار في ذكري..

ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب..

ذلك نوره كنور الشمس..

أكلؤه بعزتي..

وأستحفظه ملائكتي..

وأجعل له في الظلمة نوراً..

وفي الجهالة حلماً..

ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة...».

٥ ـ حكم الزكاة وأسرارها:

الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي ركن من أركان الدين، وقد شرعت لحكم كثيرة. منها ما هو نفسي، ومنها ما هو خلقي، ومنها ما هو اجتماعي مثل الصلاة.

الحكم النفسية للزكاة:

إن الزكاة عطاء وبذل، ومواساة ومعاونة، والنفس بطبيعتها تهتز للكرم، وتفرح بالجود، وتجد الراحة والاطمئنان في مواساة الغير، وإدخال السرور عليه.

وهذا هو السبب في أن بعض الناس يقومون بمساعدة المحتاجين، ومعاونة المعوزين، دون رغبة في ثواب، أو رهبة من عقاب.

وكما أن المعطي يهتز للجود والندى. فإن الآخذ لا يقل عنه فرحاً واغتباطاً.

سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال؟ فقال:

«إدخال السرور على المؤمن».

قيل: وما إدخال السرور على المؤمن؟

قال: **«سد جوعته، وفك كربته، وقضاء دينه»**.

أثرها في الأخلاق:

والإنسان يحب المال بطبعه. وهذا الحب يدعو صاحبه إلى البخل، والحرص والجشع، والأنانية، والأثرة، وسائر الرذائل الخلقية.

وهذه الصفات تنزل إلى مستوى الحيوان، وإلى هذا المعنى يشير الرسول ﷺ فيقول:

«أدوأ الداء البخل».

ويقول:

«شر ما في المرء شح هالع، وجبن خالع».

ولا يتخلص المرء من هذه الرذائل، إلا بالتمرين على البذل، والدُّربة على العطاء، ومن ثم كانت الزكاة ضريبة إجبارية، لا يملك المرء أن يتخلص منها.

وإلى هذه المعاني تشير الآية الكريمة:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

على أن مغالبة النفس، والانتصار عليها بإخراج المال المحبوب لها ـ فيه دليل على قوة الإيمان، وكمال اليقين، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«الصدقة برهان».

أي دليل على قوة الإيمان والإرادة...

وإذا انتصرت النفس على هواها ومحبوبها، مرة بعد مرة، أصبحت مذلَّلة لحكم العقل، وخاضعة لأوامر الله، وبعيدة عن الاندفاع العاطفي.

أسرارها الاجتماعية:

والفقراء يمثلون أكثرية من أفراد المجتمع. ولا بد من رعاية هؤلاء المساكين والعجزة والضعفاء، والمحافظة على إنسانيتهم وكرامتهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإخراج جزء معلوم من أموال الأغنياء، حتى يُكْفَى هؤلاء ليصبحوا أعضاء نافعين ومواطنين صالحين، وقد يكون فيهم من هو أوفر ذكاء، وأقدر على النهوض بالأعمال الجسام إذا وجد ما يقوم بحاجته الضرورية من الطعام والملبس والمأوى.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا، أو عروا، إلا بما يصنع أغنياؤهم.

ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً».

وإذا لم يجد الفقراء والضعفاء الكفاية مما هو ضروري، وتعرضوا للجوع حملهم ذلك على الإتيان بكل ضرب من ضروب الشر، للحصول على الضروري من القوت، فإن البطون إذا جاعت دفعت أصحابها إلى الجرائم، وارتكاب كل موبقة، واعتبرت ذلك عملاً مشروعاً.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجماعة التي ينتشر فيها الفقر، وينشب أنيابه فيها تشتعل فيها العداوة والبغضاء، فيهتز كيان الأمة بما يشيع فيها من تقاطع، وتتعرض لرواج المذاهب المتطرفة، ولا سبيل للقضاء على شرور الفقر إلا بإخراج حق الفقراء ونصيبهم الذي فرضه الله وجعله أمانة في يد الأغنياء، يقول الله سبحانه:

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

ثم إن الزكاة تقوي الصلاتِ بين الأغنياء والفقراء، وتجعل منهم أسرة واحدة متعاونة على الخير، وتنمية المال، وتقوية الأواصر.

وهي الضمان الاجتماعي الذي يكفل التوازن بين الطبقات، ويضمن اشتراكية سليمة، وهي أفضل وسيلة لتوزيع المال، فهي في الوقت الذي لا يضيق بها الغنى، ترفع مستوى الفقير إلى حد الكفاية، وتجنبه شظف العيش، وألم الحرمان.

هذه بعض آثار الزكاة النفسية، والخلقية، والاجتماعية، ومن شأنها أن تصل بالمجتمع إلى أسمى درجات السمو والكمال.

٦ ـ حكم الصيام وأسراره:

أسراره النفسية:

يقول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

بالتأمل في هذه الآية تتبين لنا الحكم السامية من هذه العبادة.

فالله سبحانه يقول:

إنه فرض الصيام على هذه الأمة كما فرضه على من تقدمها من الأمم، ليعد النفوس ويهيئها لكل خير وبر.

وذلك... أن الصائم يترك شهواته، وأحب الأشياء إليه ـ مع قدرته عليها ـ امتثالاً لأمر الله، ومسارعة إلى مرضاته، وهذا من شأنه أن يورث خشية الله، وينمي ملكة المراقبة، ويوقظ الضمير.

ثم إن الصيام يقوي الإرادة، ويعودها الصبر والاحتمال، فيستطيع الإنسان مواجهة الحياة، ومكافحتها بشجاعة، فلا تثنيه صعابها، ولا تتغلب عليه أحداثها.

وبقدر ما تقوى الإرادة، يضعف سلطان العادة.

وبذلك تتاح الفرص لهجر الكثير من العادات السيئة: مثل عادة التدخين وتناول المكيفات، وغيرها مما يضعف البدن ويمرضه، ويذهب بالمال في غير طائل.

وبإيقاظ الضمير وتقوية الإرادة يعظم الإنسان ويشرف، ويصل إلى الذروة من الفوز والنجاح.

أسراره الخلقية:

والصيام ليس مجرد الإمساك عن المفطرات، وإنما هو هجر جميع المعاصي والسيئات، فلا يحل للصائم أن يتكلم إلا حسناً، ولا يفعل إلا جميلاً، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ في قوله:

«الصيام جنة» أي وقاية من المنكرات والشرور.

وبهذا يكون الصيام درساً عملياً في أخذ النفس بالفضائل، وحملها على الاتصاف بكل ما هو حسن في جميع الحالات.

وبذلك تزكو وتطهر، ويصبح الإنسان مأمول الخير، مأمون الشر.

فإذا لم يبلغ الصيام بالإنسان هذه الغاية من التهذيب، فإن صيامه لا وزن له عند الله، وأنه لا حظ له من صيامه إلا الجوع والعطش...

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».

ويقول: **«من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**.

حكمه الاجتماعية:

والصيام فيه معنى المساواة بين الأغنياء والفقراء في الحرمان، وترك التمتع بالشهوات، وهذا من شأنه أن يرفع من نفس الفقير إذ يجد الغني مثله في القيام بهذه الفريضة.

كما أنه يفجر ينابيع الرحمة والعطف في قلوب الأغنياء، ويبعثهم على مواساة الذين ضاقت بهم سبل العيش، فتتآلف القلوب، وتذهب الأحقاد، ويتعاون الفقراء والأغنياء على النهوض بالمجتمع وتوفير الطمأنينة له.

ولقد كان يوسف عليه السلام، أميناً على خزائن الأرض، وكان يكثر من الصيام.

فسئل عن ذلك فقال:

أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

هذه هي آثار الصيام وحكمه في النفس، والخلق والمجتمع، وهي آثار بعيدة المدى، إذ إنها تُعد الفرد المهذب، والمجتمع الفاضل، وتصل بالأمة إلى غاياتها من الرفعة والسمو.

٧ ـ حكم الحج:

قد يبدو أن الحج عبادة رمزية، غير معقولة المعنى، ولا ظاهرة الحكمة، وأن ما يأتيه الإنسان من أعمال إنما هو امتثال لأمر، وإظهار للعبودية، وقيام بحق الله، ولكنه عند التأمل تتجلى أسراره، وتظهر آثاره النفسية، والخلقية والاجتماعية.

أسراره النفسية:

إن شعائر الحج تثير في النفس ذكريات عذاباً، إذ إنها ترتبط بالواقع التاريخي لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

والحج يلقي على هذه الذكريات من الظلال والألوان ما يجعلها شاخصة للعيون، وماثلة في الأذهان.

إن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعد البيت، وإسماعيل.

وهو أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض.

ومن ثم أمر الحنفاء أن يتوجهوا إليه كلما توجهوا إلى الله في صلاتهم، وأن يتلاقوا عنده كل عام، يحدوهم الحب في الله، والاجتماع عليه، ليعلنوا تضامنهم.

واتفاقهم على إقامة شريعة الله الواحد.

ولا تزال النفس الإنسانية تهفو إلى مصدر إشعاعها الأول، وتحن إليه، وتقيم لذلك المعالم الهادية، وتتخذ منها حافزاً، يرقى بحاضرها، وينهض بها إلى حياة أهدى وأزكى.

ولقد جاشت نفس رسول الله ﷺ، وانفعلت بهذه الذكريات، فبكى وهو عند الكعبة، وقال:

«يا عمر: هنا تسكب العبرات».

آثاره الخلقية:

والحج نوع من السلوك، ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى المثل الأعلى، والاندماج في حياة روحية خالصة، تمتلىء فيها القلوب بحب الله، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره مثنية عليه.

بينما يرتدي ملابس الإحرام، وهي ملابس خالية من الزينة، ومن كل ما يثير في النفس دواعي العجب والخيلاء.

يقول الله تعالى:

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

تشير هذه الآية إلى أن المرء حينما يدخل في أعمال الحج، يجب عليه أن يعيش في جو من العفاف والأدب العالي.

فلا يتدلى إلى رفث، ولا يميل إلى فسوق، ولا ينطلق بكلمة طائشة، أو ينظر نظرة فاحشة.

كما تشير أيضاً إلى فعل الخير، وهو عمل إيجابي يجمل بكل مؤمن أن يهتم به، ويحرص عليه.

آثاره الاجتماعية:

يمكن تلخيص الحكم الاجتماعية للحج فيما يلي:

١ - إن الحج رحلة سياحية لتجميع أكبر عدد ممكن من أفراد الأمة

الإسلامية، ليشهدوا المنافع التي تعود عليهم بالخير والبركات، سواء أكانت منافع روحية، أم منافع اقتصادية، أم منافع سياسية.

٢ ـ إن فيه تعارف الشعوب الإسلامية، وتوحيد غاياتهم التي توجههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم إلى حياة القوة والعزة والعلم والعمل. بما يفيده بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة، والثقافات المتنوعة.

٣ ـ يمكن عقد معاهدات واتفاقات في موسم الحج، ودراسة الوسائل لتيسير التبادل الاقتصادي والثقافي، مما تحتاج إليه هذه البلاد.

هذه هي بعض حكم الحج وأسراره.

فلننظر إلى أرض الله الواسعة، ولنستحضر كل المؤتمرات والتجمعات، فهل نجد مجتمعاً أطهر وأبر من هذا المجتمع، مع هذا العدد الوفير، والكثرة الكاثرة؟

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].



الجانب الخلقي

* إنَّ هذا الخَير خزائِن.

* فَاستَقِم كَمَا أمِرتَ.

* وأحسِن كَمَا أحَسَن الله إلَيكَ.

* الحَياء شعبةَ من الإيمَان.

* فَليؤدَّ الَّذي اؤتِمنَ أمانَتَه.

* إنَّ الله يُحِبُّ الرفَق في الأمر كُلِّه.

إن هذا الخير خزائن

١ ـ الدعوة إليه:

إن أسمى الغايات، وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه.

وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده، الرحيم بخلقه.

ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨].

أي أن غايات الناس مختلفة، وأهدافهم شتى، فمنهم من تتحكم فيه الشهوات البدنية، ومنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية، كالجاه والرئاسة، والعلو في الأرض بغير الحق، وهو ما يسمى عندهم بالكرامة والشرف.

أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائماً.

وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز، فقال الله سبحانه:

﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ومدح المسارعين إليه، والحريصين عليه، فقال:

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وجعل جزاءه الجنة، فقال:

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وروى ابن ماجه، عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال:

«إن هذا الخير خزائن، ولهذه الخزائن مفاتيح، فَطُوبى [1] لعبد جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر، مغلاقاً للخير».

والله سبحانه يوازن بين مباهج الدنيا ومفاتنها، وبين المثل العليا والاتصاف بالمكارم، ويبين أن الفضائل أبقى أثراً، وأعظم ذخراً، وأجدر باهتمام الإنسان، وخير له في الدنيا والآخرة.

---

(١) طوبى: الخير الكثير.

يقول الله سبحانه:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

ويقول:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى: ٣٦].

ويقول:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾
[المؤمنون: ٥٥ ـ ٦١].

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:

«في القلب لَمَّتان: لمة من المَلك، إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك ليعلم أنه من الله سبحانه، وليحمد الله.

ولمة من العدو، إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم تلا قوله تعالى:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

٢ ـ معنى الخير:

والخير الذي ندب الله إليه، ينتظم كل بر، ويشمل كل عمل صالح ـ فطاعة الله خير...

وممارسة الفضائل خير..

والإخلاص والنية الطيبة خير..

والإحسان إلى الناس خير...

وبر ذوي القربى خير...

والقول الجميل خير...

وكل عمل ينهض بالفرد ويرقى بالجماعة فهو خير..

والفطر السليمة تهتدي إلى الخير، وتشعر به، وتنجذب إليه، وقلما تحتاج إلى من يبصرها به، أو يدلها عليه، إذ الخير هو الكمال الذي تنشده وتسعد به. ومن أجل هذا تأتي الدعوة إلى الخير في كتاب الله، وفي سنة نبيه دون أن تُعَرّف ماهيته، وتضع له الحدود التي تكشف عن معالمه.

٣ ـ نماذج وأمثلة منه:

ومع ذلك فإن الإسلام يرشد إلى ضروب منه، ليلفت الأنظار إليها، ويوجه العناية بها.

فالاستزادة من العلم والحكمة خير.

يقول الله سبحانه:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ويقول الرسول ﷺ:

«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده» (رواه البخاري).

والدلالة على الخير، وإرشاد الإنسان غيره إلى الحق، لا يقل أهمية عن ممارسة الخير والنهوض به.

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم).

ويقول:

«لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعَم»[1].

والطيبة، والسماحة، والرحمة، والرفق، والكلمة الطيبة، كل أولئك مظاهر إرادة الله الخير للمتصف بها.

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«إن هذه الأخلاق من الله، فمن أراد الله به خيراً مَنَحَهُ خُلقاً حسناً، وإذا أراد الله به سوءاً منحه خلقاً سيئاً» (رواه الطبراني في الأوسط).

---

(١) النعم هي الإبل أي الحمر وهي أفضل أموال العرب ويضرب المثل بها في نفاسة الشيء.

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:

«من أُعطِي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير».

وكسب الرجل وعمله بيده خير، ومواساة غيره خير، يقول الرسول ﷺ:

«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيّ الله داود كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري).

وقال: **«على كل مسلم صدقة»**. فقال رجل: أرأيت إن لم يجد؟

قال: **«يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق»**.

قال: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: **«يعين ذا الحاجة الملهوف»**[1].

قال: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: **«يأمر بالمعروف»**.

قال: أرأيت إن لم يفعل؟

قال: **«يمسك عن الشرّ فإنها صدقة»**[2].

وقال: **«اليد العليا خير من اليد السفلى»**.

---

(١) الملهوف: المظلوم والعاجز الذي يستغيث ليدفع الضرر عن نفسه.

(٢) أي هذه الخصلة.

وقال: «لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا شيء إلا كانت له صدقة» (رواه البخاري ومسلم).

وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة».

وأي عمل لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، فهو من أعلى ضروب الخير. يقول الرسول ﷺ: «لَغَدْوَة[1] في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها». وروى أبو سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من خير معايش الناس لهم:

رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله. يطير على متنه[2]، كلما سمع هيعة[3]، أو فزعة[4] طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه..

ورجل في غُنَيْمَة في رأس شَعَفَة من هذه الشعَف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين[5]. ليس من الناس إلا في خير» (رواه مسلم).

والله سبحانه يحاسب المرء على قدر الذرة في الخير والشر.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

---

(١) الغدوة: الذهاب أول النهار. والروحة: الذهاب آخره، وسبيل الله: الطريق الموصل إلى مرضاته وهو الجهاد.

(٢) متنه: ظهره.

(٣) هيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو.

(٤) فزعة: الفزع في الأصل الخوف فوضع موضع الإغاثة والنصر لأن من شأنه الإغاثة والدفع عن الحريم، والشعفة رأس الجبل.

(٥) اليقين: الموت.

وفي الموطأ: أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين، وبين يديها عنب.

فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها.

فجعل ينظر إليها ويعجب.

فقالت: أتعجب! كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟.

وروي عن سعد بن أبي وقاص أنه تصدق بتمرتين، فقبض السائل يده، فقال للسائل: ويقبل الله منا مثاقيل الذر، وفي التمرتين مثاقيل ذر كثيرة.

وروى معمر عن زيد بن أسلم: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال:

«علمني مما علمك الله. فدفعه إلى رجل يعلمه، فعلمه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ حتى إذا بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ قال: حسبي. فأخبر النبي ﷺ فقال: **«دعوه فإنه قد فقه»**.

وكل معروف يقدم إلى الناس، فهو مما يُرضي الله كبر أو صغر، حتى المصافحة، وبشاشة الوجه.

يقول الرسول ﷺ:

«لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (رواه مسلم).

وقال: **«إذا التقى المسلمان وتصافحا تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات عن الشجرة ورقها»**.

وكل أذى يماط عن طريق المسلمين، فهو من البر الموجب للمغفرة.

يقول صلوات الله وسلامه عليه:

«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له فغفر له» (رواه البخاري).

وقال: **«عُرِضت عليّ أعمال أمتي حسنُها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط[1] عن الطريق»** (رواه مسلم).

والانتقال إلى المسجد، والخطوات إلى الصلاة، مذخور عند الله لا يضيع منها شيء.

فعن أبي المنذر أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال:

كان رجل لا أعلم أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له أو فقلت له: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء.

فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد.

إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي.

فقال رسول الله ﷺ : **«قد جمع الله لك ذلك كله»** (رواه مسلم).

ومن أنواع الخير ما ذكره صلوات الله وسلامه عليه في قوله: **«طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره.**

---

(١) يماط: يزال.

طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله» (رواه الطبراني وحسنه ابن عبدالبر).

٤ ـ اعتياده:

والقيام بالخير، والنهوض بأعبائه، يحتاج إلى ترويض وتعويد، حتى تألفه النفس، ويسهل عليها ممارسته.

وإن المران على الخير منذ الصغر، وأخذ النشء به، مما يرسي دعائمه ويثبت قوائمه.

وقد أمر الإسلام أن نربي الأبناء على الفضائل الإسلامية، ونعودهم على أداء الواجبات الدينية منذ الحداثة، حتى ينشأوا وقد اصطبغوا بصبغة الإسلام، وانطبعوا به.

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه

٥ ـ المسارعة إليه:

والمبادرة إلى الخير، والمسابقة إليه، مما يندب إليه الإسلام، ويرغب فيه، حتى تكون رصيداً يسمو بالإنسان، ويصل به إلى أقصى درجات السمو والرفعة.

والشمس لا تنتظر أحداً، والزمن يمضي سريعاً، والوقت هو الفرصة الذهبية التي وهبها الله للإنسان ليعمرها بالخير والصلاح.

يقول عزَّ وجلَّ:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فإذا فرط في النهوض بالعمل الصالح، وقصر في أداء الواجب فقد عرض نفسه لغَبن فاحش، وخسارة لا تعوض أبداً.

﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾ [العصر ١ - ٣].

وفي الحديث الصحيح: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»** (رواه البخاري عن ابن عباس).

وقد تعرض الموانع الصارفة للإنسان عن ممارسة الخير، وتمر فتن كثيرة تحول بينه وبين القصد إليه.

ومن واجب المرء أن يبادر هذه الموانع، ويسبق هذه الفتن، متى تهيأت له الأسباب، وتفتحت أمامه الأبواب.

يقول الرسول ﷺ: **«بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا»** (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعاً:**

هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً. أو غنًى مُطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مُفْنِداً، أو موتاً مُجهِزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» (رواه الترمذي).

وخير الأعمال ما قام به المرء وهو في عافية من البدن، ووفرة من المال، وإقبال من الدنيا، وأمل في الحياة، فإن ذلك دليل إيثار ما عند الله، ومظهر الوعي الديني ويقظته.

سئل رسول الله ﷺ : أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: **«أن تَصَدَّقَ وأنت صحيح شحيح: تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل، حتى إذا بلغتْ الحلقوم[1] قلت: لفلان كذا[2] وقد كان لفلان كذا»** (رواه البخاري).

٦ ـ صورة من حياة الرسول وصحابته:

وإن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، كان في نفسه مثلاً أعلى في المسارعة إلى الخير.

عن أبي سَرْوعة ـ رضي الله عنه ـ قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلم، ثم قام مسرعاً، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته!

فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته. قال: **«ذكرت شيئاً من تِبْر عندنا فكرهت أن يحبسني. فأمرت بقسمته»** (رواه البخاري).

وكان أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ على نهجه فلم يحجموا عن مكرمة، أو يقصروا عن غاية.

كانوا يتسابقون إلى الموت في سبيل الله راضين بتلك الشهادة.

قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحد:

---

(١) أي بلغت الروح الحلقوم، وذلك عند الاحتضار.

(٢) المقصود أنه يوصي في هذه الحالة بالخير حيث لا ينفعه إلا هو.

أرأيت إن قتلت فأين أنا؟

قال: «**في الجنة**».

فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل.

وفي غزوة تبوك تخلف أبو خيثمة، فلم يخرج مع الجيش، وكان له زوجتان، فلما رأى تخلفه وتقاعده قال: رسول الله في الحر، وأبو خيثمة في ظل ظليل، وماء بارد، وامرأة حسناء!!

ما هذا بالنصَف..؟

والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله، فهيئا لي زاداً. ثم ارتحل ناقته، وأخذ سيفه ورمحه، وخرج في طلب رسول الله حتى أدركه.

الفهرس

الجانب الروحي

الجانب الخلقي


Bibliotheca Alexandrina
06235511